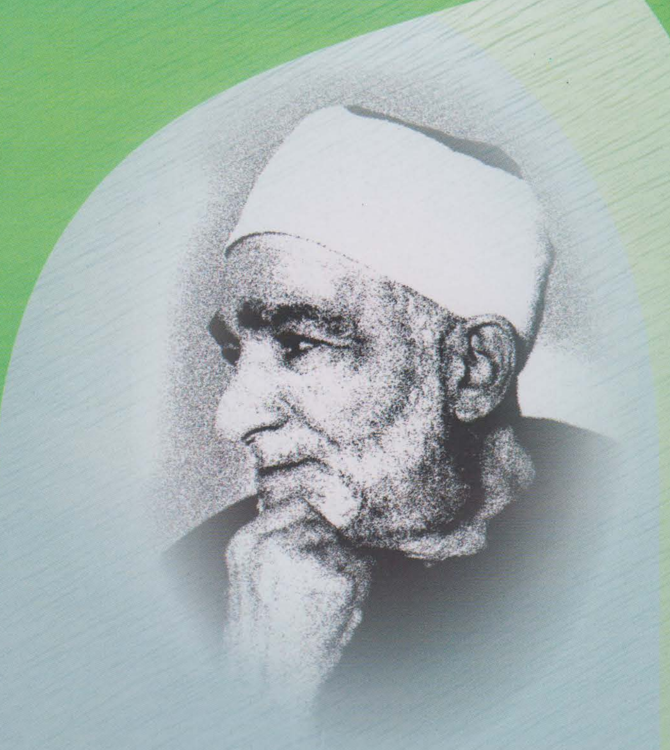
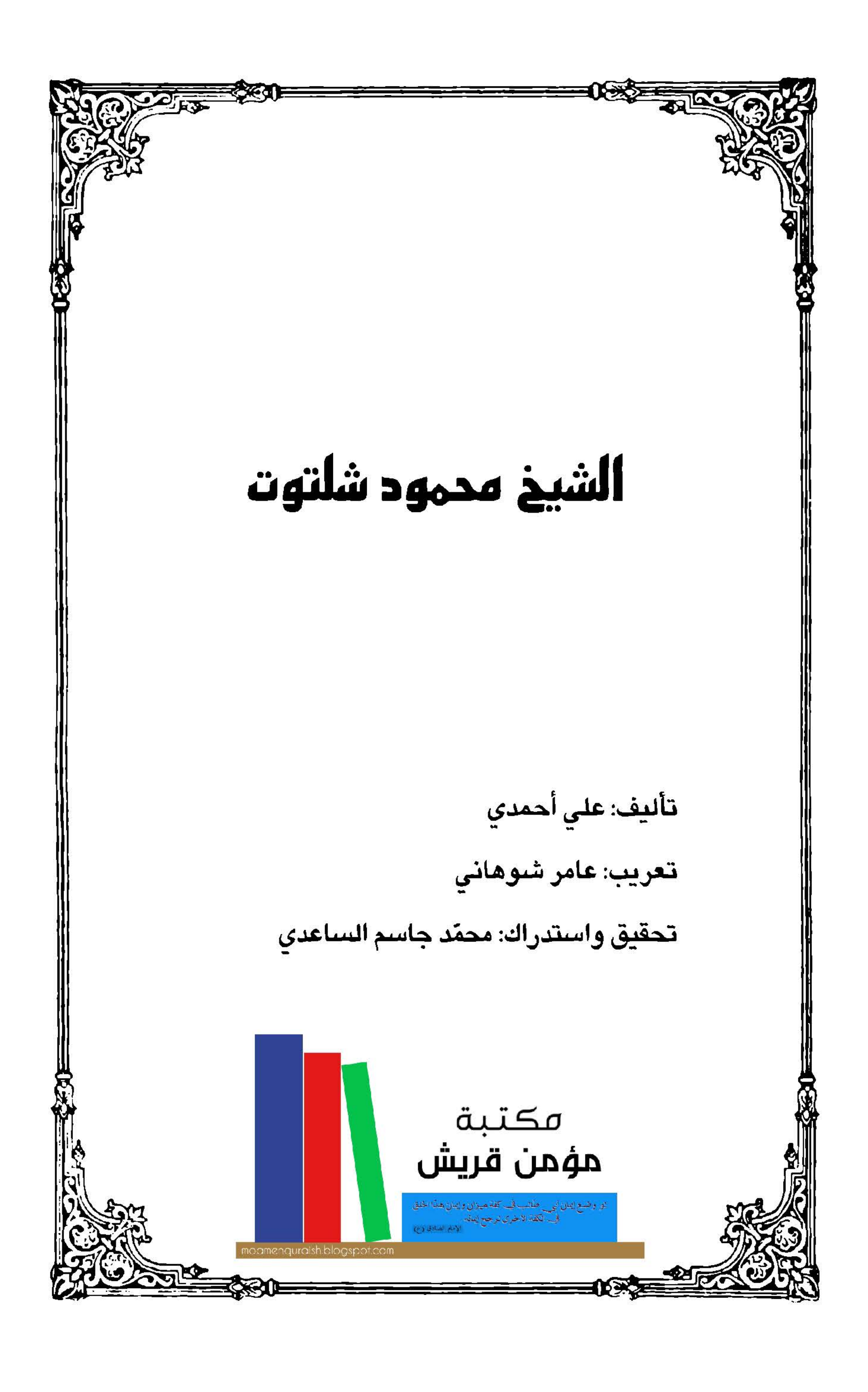
سلسلة رواد التقريب ٢



الشيخ محمود شلتوت

علي احمدي





الشيخ محمود شلتوت

تأليف: علي أحمدي

تعريب: عامر شوهاني

تحقيق واستدراك: محمّد جاسم الساعدي

سرشناسه : احمدي، علي.
عنوان قراردادی : شيخ محمود شلتوت: آيت شجاعت. عربي.
عنوان و پديدآور : الشيخ محمود شلتوت: آية الشجاعة/ تأليف علي احمدي، تعريب عامر شوهاني؛ تحقيق و استدراك محمد جاسم الساعدي
مشخصات نشر : تهران: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، المعاونية الثقافية، ١٣٨٦.
مشخصات ظاهری : ١٤٤ ص.
شابک : 978-964-8889-82-6
وضعیت فهرست‌نویسی : فيپا.
يادداشت كلی : عربی.
يادداشت : كتابنامه: ص [١٢٥] ـ ١٣٣؛ همچنين به صورت زيرنويس.
موضوع : شلتوت، محمود، ١٨٩٣ ـ ١٩٦٣ م. Shaltut, Mahmud سرگذشتنامه.
موضوع : اصلاح طلبان - - كشورهای اسلامی.
موضوع : اسلام - - تجديد حيات فكری.
موضوع : تقريب مذاهب.
شناسه افزوده : شوهانی، عامر، مترجم.
شناسه افزوده : ساعدی، محمد جاسم، مترجم.
شناسه افزوده : مجمع جهانی تقريب مذاهب اسلامی. معاونت فرهنگی.
رده‌بندی كنگره : ١٣٨٥ ٨٠٤٣ ش١٢٨لف/٢٣٣/٥ BP.
رده‌بندی ديويی : ٢٩٧/٤٨.
شماره كتابخانه ملی : ٤٥٤٥٠-٨٥م.

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

اسم الكتاب: الشيخ محمود شلتوت آية الشجاعة
تأليف: علي احمدي
تعريب: عامر شوهاني
تحقيق و استدراك: محمد جاسم الساعدي
الناشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية - المعاونية الثقافية
الطبعة: الاولى - ١٤٢٨ هـ.ق ٢٠٠٧ م
الكمية: ٢٠٠٠ نسخه
السعر: ١٠٠٠ تومان
المطبعة: نيرو
ردمك: ٩٧٨-٩٦٤-٨٨٨٩-٨٢-٦ ISBN: 978-964-8889-82-6
العنوان: الجمهورية الاسلامية في ايران - طهران - ص. ب: ٦٩٩٥ - ١٥٨٧٥
تلفكس: ١٤ - ٨٨٣٢١٤١١ - ٢١ - ٠٠٩٨

مقدّمة المجمع

بسم الله الرحمٰن الرحيم

ليس من قبيل الصدفة عدم خفاء دور القادة المفكّرين وعظماء التاريخ العلمي والأدبي في إيجاد الحركات النهضوية والتحوّلات الفكرية والفلسفية الكثيرة في العالم، وما تعكسه من آثار متعدّدة الجوانب على مسيرة البشرية، وتطوّرها على كافّة الأصعدة؛ إذ في غالب الأحوال ثمّة ظروف تعين هؤلاء العظماء على المدّ في تحرّكهم ودفع عجلة نشاطاتهم بالاتّجاه الذي يرغبون فيه، يضاف إليه الأوضاع المعقّدة التي قد تدعو الناس إلى محاولة التغيير ولو بصورة معيّنة وعلى نطاق محدود.

فكلّ تلك العوامل تزيد من مدى طواعية الجماهير باتّجاه هذا القائد الفكري، وتحثّ من خطاه نحو إكمال مسيرته. هذا إذا أضفنا إلى مجموع ما مرّ شخصية القائد الجذّابة، والخصائص الفذّة التي يتمتّع بها.

من الصعب أن تشهد رجالاً من هذا الطراز قادوا «انقلابات» فكرية وثقافية في مجتمعاتهم مع وجود المال والناصر.

لكن أن تجد رجالاً قاموا بنهضات وحدوية بمفردهم، وجمعوا شتات أُممهم العريضة بهمّة عالية أثارت إعجاب الآخرين، فهذا هو الصعب والعسير المنال؛ لأنّهم لم يسندوا تحرّكاتهم على الرجال والأنصار، ولم يجلسوا على كنوز الذهب التي تترى على البعض من جهات مختلفة.

إنّ المصلحين العظام لم يقودوا حملاتهم النهضوية ضمن فئات محدودة أو جماعات قليلة ليدرجها المضطّلعون في خانة المساعي الهيّنة، بل كانت دعوات بعضهم تشمل أطراف الأُمّة الكبيرة التي يبلغ تعداد نفوسها أكثر من مليار نسمة! هذا إذا أضفنا إلى

ذلك الجماعات والجهات المخالفة التي لم تأن في استخدام كلّ ما لديها من الحيل لنزع فتيل حملتهم، واستحلال ساحتهم ولو بالتصفية الجسدية!

وهذا مادعا التاريخ إلى حفظ أسماء هؤلاء الثلّة الرائعة بعدما رفعها عالياً، فكانت بمثابة شموس مضيئة أشرقت بنورها على الناس، الذين لم يألوا جهداً في تسجيل مواقفهم وإبراز احتراماتهم تجاههم.

إنّ وصول هؤلاء الرجال في ميدان الإصلاح الاجتماعي والتقريب بين المذاهب الإسلاميّة إلى هذا المستوى من الرقي والعالمية إنّما كان مبنياً على استراتيجية ثابتة منتقاة من الفكر والثقافة القرآنية والأدب النبوي الشريف وتربية أهل بيت النبوّة الطاهرين والسيرة التي تابع الصحابة عليها بإحسان، ولم تكن حركة خبط عشواء، أو حاطب ليل، وأيضاً لم تكن على أُسس شخصية ومصلحية فردية أو أُسرية.

فقي الوقت الذي يجوب بعضهم العالم بأسره للقاء الزعماء السياسيّين ومسؤولي الدول، يطوف بعضهم الآخر البلدان والقرى، قاطعاً المسافات البعيدة من أجل بثّ فكرة التقريب ووحدة الصفّ، ومحاولة إقناع النخب من تمكين فكرة التقريب، والحوار الهادئ، واحترام الغير في نفوس مؤيّديهم.

ولعلّ من أبرز هؤلاء الطليعة التي ترجمها المجمع بعنوان «روّاد التقريب»، الذين بذلوا جهوداً جبّارة في هذا السبيل، وأبدوا كثيراً من النشاطات العلمية على مستوى الرسائل والكتب من أجل معالجة المتطلّبات الملحّة التي تحتاجها حركة التقريب بين أفراد الأُمّة الإسلاميّة.

وفي الوقت الذي نشكر فيه جهود الأُستاذ الفاضل الأخ محمّد الساعدي، وما أبداه من تعاون مثمر على صعيد تحقيق وتوثيق واستدراك هذا الكتاب، نقدّر جهود كلّ من ساهم في نشر وإعداد هذا السفر الجليل. والحمد لله ربّ العالمين.

المعاونيّة الثقافيّة للمجمع العالمي

للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة

كلمة المحقّق

لا يخفى على المراقب الحصيف دور رجال التقريب وروّاده في نشر وترويج الفكر الإصلاحي في الأوساط الثقافيّة والفكريّة الإسلاميّة وعلى أكثر من مستوى.

ولم يقف دورهم عند هذا الحدّ، بل تعدّاه إلى مستوى أكثر فاعلية، بعدما فتحوا الأبواب لدخول «الأفكار الأُخرى» وسلّطوا الأضواء على المباحث العلميّة الجادّة في سبيل رفعة الإسلام ورفرفة رايته الفضفاضة، بحيث يتسنّىٰ للأجيال اللاحقة متابعة الحقيقة بأبهى صورها.

إنّ هكذا رجال وأصحاب قلم وفكر إصلاحي وتقريبي بحاجة إلى برنامج للتعريف بهم لأجيالنا اللاحقة، والدفاع عن مبادئهم وشعاراتهم التي فدوا نفوسهم الزكية وأموالهم الطيّبة وأوقاتهم الشريفة من أجلها.

ولعلّها أمانة هي في رقاب كلّ المصلحين والتقريبيّين. وهذا بالضبط ما دعاني إلى تلبية دعوة المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة إلى تحقيق مجموعة «طلايه داران تقريب» (روّاد التقريب) وتهذيبها والاستدراك عليها.

وقد كان منهجي في التحقيق كمايلي:

١ ـ متابعة التعريب الذي تمّ على النصّ الفارسي للكتاب، والإشراف على الترجمة، وتهذيب بعض بنودها الّتي رأيتها مناسبة أكثر لموضوع الكتاب، وسبك العبارات بأُسلوب عصري حديث.

٢ ـ تقويم متنه، وتصحيح الأخطاء الواردة فيه، وإصلاح ما يلزم.

٣ ـ متابعة مراحل الطبع والمقابلة بكلّ تداعياتها.

٤ ـ ترجمة الأعلام الواردة أسماؤهم في المتن ليتسنّىٰ للقارئ اللبيب الإحاطة بأخبارهم، والاطّلاع على أحوالهم وما قدّموه من آثار.

٥ ـ توثيق الموارد التاريخيّة واللغويّة والحديثيّة والسياسيّة وغيرها الواردة في الكتاب.

٦ ـ كتابة الاستدراكات التي تتعلّق بحياة وسيرة المترجم لهم والمراحل التي تتمحور حولها شخصياتهم، والتي لم يتسنّ للنصّ الفارسي الأصل استيفائها وإيرادها في هذا الكتاب، فلاح لي ضرورة الاهتمام بهذا الجانب الحيوي، ومتابعة المسألة بصورة جدّية في الهامش على أن لا تكون متجاوزة لحدود الكتاب، وبالتالي يمكن أن تساهم هذه الاستدراكات في زيادة اطّلاع القارئ على ملابسات حياة الشخصية المترجم لها. وقد رمزت للاستدراك بهذه العلامة (*).

هذا وأسأل المولى عزّ وجلّ التوفيق لخدمة التقريب بين مذاهب الأُمّة الإسلاميّة والإصلاح أكثر فأكثر. ولا يفوتني أن أُعرب عن شكري وتقديري إلى المجمع العالمي للتقريب، وأخصّ بالذكر سماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ علي أصغر الأوحدي (حفظه الله) على إتاحته الفرصة لي للمساهمة في إنجاز هذا العمل على أحسن ما يرام إن شاء الله، وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين.

محمّد الساعدي

٥/ ذو الحجّة /١٤٢٧ هـ

الشيخ محمود شلتوت :

ينبغي للمسلمين الآن أن يفتخروا؛ إذ سبقوا الآخرين، في الفكر والعمل، من أجل التقريب بين مذاهبهم المختلفة [1].

تمهيد

إنّ التقريب والتفاهم والتنسيق من أهمّ المسائل التي تحتاجها المجتمعات الإسلامية في عصرنا الحالي الحسّاس، هذا العصر الذي نهضت فيه قوىٰ الكفر جميعها متّحدة متآزرة لمجابهة الإسلام والمسلمين بشكل مباشر، لا خجل ولا وجل ولا حياء فيه.

وعلىٰ المسلمين جميعهم أن يتيقّظوا ويلتفتوا لمسألة مهمّة، هي: أنّ الحلّ الوحيد لمواجهة الاستعمار والاستكبار والتغلّب عليه هو اتّحاد مسلمي العالم جميعاً، بكلّ تنوّعاتهم، الإقليمية والعرقية والمذهبية، ومحاربة الفكر

---

(١) الناس والدين: ٩.

«السكولاري»(١)، وعزل المستغرِبين والجبناء عن مواقع اتّخاذ القرار في الأُمّة الإسلامية.

وفي صدر الإسلام أيضاً كانت أكبر الجهود والمساعي للصحابة والأئـمّة المعصومين عليهم السلام تنصبّ في سبيل الوحدة بين مختلف طبقات الناس..

كتب أمير المؤمنين الإمـام عـليّ عليه السلام فـي جـواب رسـالة لأبـي مـوسىٰ الأشعري، بخصوص دوره في حفظ وحدة المسلمين:

«وليس رجل ـ فاعلم ـ أحرص علىٰ جماعة أُمّة محمّـد صلى الله عليه وآله وسلم وأُلفتها منّي، أبتغي بذلك حُسن الثواب، وكرم المآب»(٢).

ولأجل الوصول إلى الوحدة فهناك عوامل مختلفة مؤثّرة، أهمّها: دور أكابر وعلماء ومثقّفي البلاد الإسلامية؛ إذ يستطيع المفكّرون والعلماء المسلمون، بـما يمكن أن يقدّموا من أعمال مؤثّرة، أن يُطلعوا مسلمي العالم علىٰ ضرورة الوحدة بين المسلمين، وعلىٰ مؤامرات الأعداء وخططهم لتمزيق وتفريق الأُمّة.

وإذا تمكّن علماء الدين في الفرق الإسـلامية جـميعها مـن أداء واجـبهم الخطير، والذي هو دعوة كلّ المسلمين للوحدة والأُخـوّة، فـبلا شكّ سـيتذوّق المجتمع حلاوة الوحدة أيضاً.

الشيخ محمود شلتوت من العلماء المفكّرين المتحرّرين، وبفتواه التاريخية التي أصدرها بجواز اتّباع مذهب الشيعة، لم يخلّد اسمه في دنيا الإسلام فحسب، بل قام بعملٍ، هو الأكثر تأثيراً، في سبيل وحدة العالم الإسلامي، وخاصّة بـين السنّة والشيعة.

---

(١) بمعنى: فصل الدين عن السياسة.

(٢) نهج البلاغة: رسالة ٧٨.

وعن شخصية وآثار الفقيد السعيد صنّف الأُستاذ عبدالكريم بي آزار الشيرازي كتاباً قيّماً بعنوان: **الشيخ محمود شلتوت.. رائد التقريب**، وصدر بمناسبة «مؤتمر تكريم آية الله البروجردي والشيخ محمود شلتوت»، وهو خطوة في مسير التقريب؛ إذ تضمّن فكرة موجزة وجامعة عن سيرة وحياة هذا العالم الكبير.

وكتابنا هذا نتعرّف فيه بشكل أفضل علىٰ الشيخ محمود شلتوت كعالِم ومفكّر متحرّر شجاع، خدم الوحدة بين المسلمين؛ بإصداره الفتوىٰ التاريخية بجواز اتّباع مذهب الشيعة، وتأسيسه دراسة الفقه المقارن في جامعة الأزهر.

تأليفنا هذا الكتاب عن حياة الشيخ محمود شلتوت لا يعني موافقتنا وقبولنا لنظرياته وآرائه جميعها؛ لأنّنا لا نعتقد بوجود أيّ إنسان معصوم من الخطأ والاشتباه في الفكر والعمل، إلّا المعصومين من أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

وختاماً أُقدّم شكري وتقديري للأخ العزيز محمود مهدي پور؛ الذي ساعدني، بصبره وتحمّله، في إنجاز هذا الكتاب.

ومن الله التوفيق..

علي أحمدي

الفصل الأوّل :

ولادته وتحصيلاته الدراسية

مسقط رأسه

مصر بلد من أقدم بلدان العالم التي امتلكت حضارة امتدّت لعدّة آلاف من السنين، وكانت منذ القدم موئلاً لكبار المفكّرين والعلماء.

وفي العقود المتأخّرة، وفي ذروة الصحوة الإسلاميّة في هذا البلد، وبتأثير تواجد السيّد جمال الدين الأسد آبادي[1]، ظهرت شخصيات كبيرة قدّمت الكثير من الخدمات للإسلام والمسلمين، مثل: الشيخ محمّد عبده[2]، الأُستاذ حسن البنّا[3]، الشيخ محمود شلتوت، سيّد قطب، وغيرهم.

---

(١) جمال الدين محمّد بن صفدر الحسيني الأفغاني الأسد آبادي: أحد أبرز رجال النهضة والإصلاح في العصر الحديث. ولد في أسعد آباد سنة ١٢٥٤ هـ، ونشأ بكابل، وتلقّى العلوم، فبرع فيها. سافر إلى بلدان عديدة طلباً للإصلاح والنهضة. أنشأ مع تلميذه الشيخ محمّد عبده جريدة «العروة الوثقى» في باريس. كان عارفاً باللغات: العربيّة، والفارسيّة، والبشتو، والتركيّة، والسنسكريتيّة. وتعلّم: الإنجليزيّة، والفرنسيّة، والروسيّة. كان كريم الأخلاق كبير العقل، وله عدّة مصنّفات، منها: تاريخ الأفغان، رسالة الردّ على الدهريّين. دسّ له السمّ في الآستانة، فقضى بها نحبه سنة ١٣١٥ هـ، ونقل رفاته ـ بعد ذلك ـ إلى أفغانستان سنة ١٣٦٣ هـ. (دائرة المعارف الإسلاميّة ٧: ٩٥ ـ ١٠١، الأعلام للزركلي ٦: ١٦٨ ـ ١٦٩، الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث: ٧٧ ـ ٨١).

(٢) لم أُترجم لهذه الشخصية واللاتي بعدها ـ باستثناء البنّا ـ باعتبارها إحدى شخصيات التقريب والتي قد كتب فيها بعضهم كتباً كاملة بنشر مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية، فلاحظ.

(٣) حسن أحمد عبد الرحمان البنّا الساعاتي: المرشد العامّ لجماعة الإخوان المسلمين ومؤسّسها في مصر. ولد في عام ١٩٠٦ م ببلدة المحموديّة بمحافظة البحيرة، وبدأ بحفظ القرآن، ثمّ التحق بمدرسة المعلّمين في دمنهور، وانضمّ إلى بعض الجمعيات الدينية،

←

وبدون شكّ كان لوجود السيّد جمال الدين الأثر العميق في الأجواء الفكريّة والعقائديّة في مصر، بحيث أنّ الكثير من الشخصيّات المصريّة المعاصرة قد تأثّرت بأفكاره.

في الخامس من شوّال سنة ١٣١٠ هـ، وفي قريّة «منشاة بني منصور»، إحدىٰ القرىٰ التابعة لمدينة «إيتاي البارود» في محافظة «البحيرة»(١) في مصر، ولد مولود جديد(*) لعائلة عرفت بالعلم والأدب..

وفرح والده الشيخ محمّد شلتوت كثيراً بمولده، وسمّاه: محموداً، وبذل

← لجمعية الأخلاق الأدبية وجمعية منع المحرّمات، ثمّ انضمّ إلى طريقة صوفية (الإخوان الحصافية)، وساهم في تأسيس الجمعية الحصافية الخيريّة لمقاومة المحرّمات والنشاط التبشيري المسيحي، والتحق بدار العلوم بالقاهرة سنة ١٩٢٣ م، واتّصل بمحبّ الدين الخطيب وأحمد تيمور ورشيد رضا وغيرهم، وساهم في تحرير صحيفة «الفتح» الإسلامية. تخرّج مدرّساً بمدينة الإسماعيلية، فقضى مدّة من الزمن يتّصل بالأوساط الدينية وينشط في الوعظ. أسّس جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٢٨ م، ونقل مدرّساً بالقاهرة سنة ١٩٣٢ م، فانتقل مركز نشاط الجماعة إليها، وأصدر صحيفة «الإخوان المسلمين»، واتّجه صراحة إلى ميدان السياسة سنة ١٩٣٨ م، وأصدر صحيفة «النذير». اطّرد نمو حركته، وكان خصماً عنيفاً للوفد وللحركات اليساريّة الجديدة، وقعت أحداث اغتيال سياسي وعمليات نسف نسبت للجماعة، فحلّتها وزارة النقراشي سنة ١٩٤٨ م، فاغتيل الأخير في نفس السنة، وردّت الحكومة باغتيال الشيخ البنّا سنة ١٩٤٩ م. (موسوعة السياسة ٢: ٥٣٢).

(١) محافظة البحيرة: من محافظات مصر المهمّة، عدد سكّانها ٤ ملايين نسمة، تقع في القسم الغربي لدلتا النيل، ومركز المحافظة مدينة «دمنهور»، وأهمّ مدنها: «دلنجات»، «رشيد»، و«كَفر الدوّار»، وعمل أهلها الأساسي هو الزراعة، بحيث إنّ الأراضي الزراعيّة لهذه المحافظة تشكّل نسبة كبيرة من مجموع أرض مصر كلّها.
بر آورد استراتژيك مصر (بناءً على الجغرافيا المصريّة) ١: ١٠١.

(*) صادف ميلاد الشيخ الساعة التاسعة والعشرين دقيقة من مساء الثاني والعشرين من نيسان سنة ١٨٩٣ م. (الأزهر في ألف عام ٣: ٣٤٥).

غاية ما أمكنه في سبيل تربيته وتعليمه.

لم يكن محمود قد أكمل ربيعه السابع عندما توفّي والده، فتكفّل عمّه عبدالقوي بتربيته ورعايته.

ومنذ ذلك الحين كانت تبدو علامات النبوغ في أفعاله، لذا أرسله عمّه إلىٰ «كتاتيب» القرية؛ لتحصيل العلم والمعارف الإسلاميّة.

وقد كان من قوانين كتاتيب مصر أنّ الطالب قبل أنّ يدرس الأدب عليه أن يحفظ القرآن الكريم كلّه، وكان محمود ـ كسائر الطلّاب ـ قد حفظ القرآن كلّه في مدّة وجيزة.

هاجر الشيخ محمود سنة ١٣٢٨ هـ (١٩٠٦ م) إلىٰ الإسكندريّة لتحصيل مراتب العلم العليا، وأكمل دراسته في كلّية الإسكندريّة[١]، وكان نبوغه العلمي وإمكاناته العلمية مثاراً لإعجاب الأساتذة والطلبة علىٰ حدّ سواء.

وبجهوده المتواصلة استطاع الحصول سنة ١٣٤٠ هـ (١٩١٨ م) علىٰ أعلىٰ شهادة رسمية تمنحها هذه الكلّية، ونال عنوان: «الطالب النموذجي للكلّية»، وكان عمره ٢٥ سنة، وبعدها عُيّن أُستاذاً في الكلّية نفسها سنة ١٣٤١ هـ (١٩١٩م).

وقد كان زمان تدريس ودراسة الشيخ محمود معاصراً للثورة الشعبية التي قامت في مصر بقيادة سعد زغلول[٢]، فقد كانت المدن والقرىٰ المصريّة تعجّ

(١) هذه الكلّيّة من أقدم جامعات الإسكندريّة، وتمارس عملها بإشراف جامعة الأزهر.

(٢) يعدّ من الشخصيات الوطنية المعروفة التي مهّدت لمصر نيل استقلالها. كان قد راجع المندوب السامي البريطاني، قبل يومين من توقّف حرب سنة ١٩١٨ م، من أجل الحصول علىٰ الاستقلال، لكنّ طلبه رُفض؛ لذا قام بتأسيس «حزب الوفد» من أجل الإسراع في ←

بالمظاهرات الشعبية دعماً لسعد زغلول وصدّاً للمحتلّين، ولم يكن شلتوت بعيداً عن هذه الأجواء؛ إذ مارس دوره الثوري وخدم ثورة الشعب المصري بلسانه وقلمه.

دخوله الأزهر

كان للشيخ محمّد مصطفىٰ المراغي تأثير عقائدي عميق علىٰ الشيخ شلتوت، وحين كان متولّياً رئاسة جامعة الأزهر سنة ١٣٦٠ هـ (١٩٣٨ م) قرأ مقالة للشيخ شلتوت، ووقف علىٰ عمق أفكاره وتضلّعه في الأدب ومهارته في الكتابة، فاستدعاه للتدريس في الدراسات العليا في الجامعة.

وقد قبل الشيخ شلتوت الذي كان يقوم بتدريس وتربية طلّاب جامعة الإسكندريّة آنذاك هذه الدعوة، وسافر إلىٰ القاهرة، وأصبح أُستاذاً في جامعة الأزهر، وكانت نجاحاته وموفّقيته سبباً في انتخابه سنة ١٣٦١ هـ (١٩٣٩ م)

← الحصول علىٰ الاستقلال. وبعد مدة قامت القوّات البريطانية بنفي سعد زغلول وجماعته إلىٰ جزيرة «مالطا» أوّلاً، ثمّ إلىٰ جزر «سيشل». وعلىٰ أثر تأييد قيمومة (انتداب) بريطانيا علىٰ مصر من قبل مؤتمر «فرساي» قام الوطنيّون المصريّون بتكثيف وتشديد نشاطهم وأعمالهم، حتّىٰ أجبروا البريطانيّين علىٰ التنازل عن قيمومتهم، وتنصيب السلطان فؤاد ملكاً لإدارة شؤون الدولة المصريّة. وبعد فترة أخذ نظام الحكم في مصر شكل الملكيّة المشروطة، ومنذ ذلك الوقت حتّىٰ الزمن الذي نالت فيها مصر استقلالها الكامل، كانت المواجهة شرسة ومتواصلة من أجل السيطرة علىٰ زمام الأُمور بين الملك والبريطانيّين من جهة وبين «حزب الوفد» الذي كان حزباً وطنيّاً يمتلك الأغلبية من جهة أُخرىٰ. وقد فاز زغلول الذي كان قد عاد من منفاه في انتخابات رئاسة الوزراء بأغلبية ساحقة، لكنّ البريطانيّين خالفوا رئاسته للوزراء، وأجبروه علىٰ الاستقالة من منصبه. توفّي سنة ١٩٢٧ م. (موسوعة السياسة ٣: ١٦٢ ـ ١٦٣).

مدرّساً للمرحلة التخصّصية في الجامعة.

أساتذته

١ ـ الشيخ الجيزاوي.

وهو من أساتذة الشيخ شلتوت في جامعة الإسكندريّة.

٢ ـ الشيخ عبد المجيد سليم.

ولد عبد المجيد سليم في سنة ١٣٠٤ هـ في مصر، وبعد دراسته الأوّلية دخل جامعة الأزهر، وتخرّج منها سنة ١٣٣٠ هـ، وبعد إكمال دراسته عمل قاضياً ومدرّساً وعضواً في مجلس الاستفتاء. ويعدّ من تلامذة الشيخ محمّد عبده.

كان عبد المجيد سليم من مؤسّسي جماعة التقريب بين المذاهب ومن أعضائها الناشطين، وكان صريحاً وشجاعاً، وبسبب صراحته التي لم يكن لها من مثيل استعفىٰ من رئاسة الأزهر سنة ١٣٦٨ هـ؛ لأنّ الحكومة أرادت التدخّل في شؤون الأزهر، وقد غضب بشدّة رئيس ديوان البلاط الملكي، وهدّد عبدالمجيد بالأخطار التي سيواجهها نتيجة لعمله هذا.

فأجابه عبد المجيد بكلّ شجاعة وصراحة: «ما دمت ماشياً بين بيتي والمسجد فلن يهدّدني أيّ خطر».

وبعد سنين من السعي الدؤوب في مجال التقريب والوحدة الإسلاميّة توفّي يوم الخميس العاشر من صفر سنة ١٣٧٤ هـ[١].

---

(١) الأزهر في ألف عام ١: ٣٠٦.

٣ ـ الشيخ محمّد مصطفىٰ المراغي.

ولما للشيخ المراغي من أثر كبير وعميق في حياة شلتوت(*) نذكر لمحة من

(*) عندما عيّن الشيخ محمّد مصطفى المراغي شيخاً للأزهر سنة ١٩٢٨ ورأى الإفادة من الشيخ محمود شلتوت لما رآه فيه من علم وفهم وحبّ للإصلاح والتجديد، نقله إلى القاهرة مدرّساً بالقسم العالي، وظلّ يدرّس بالقسم العالي إلى أن اختارته مشيخة الأزهر للتدريس بقسم التخصّص سنة ١٩٣٠، ليدرّس حملة الشهادة العالمية، وأصبح زميلاً لأساتذته السابقين.

ولمّا تقدّم الإمام المراغي شيخ الأزهر آنذاك بمذكّراته الإصلاحية إلى أولياء الأُمور كان الشيخ شلتوت أوّل المؤيّدين له من الأزهريّين، وتتضمّن المذكّرة إعادة تنظيم الأزهر على ضوء ما جاء فيها من مقترحات، وكتب الشيخ شلتوت عدّة مقالات في جريدة «السياسة» اليومية يطالب فيها بتأييده هذه المذكّرة والعمل على تنفيذها، ولم يستجب القصر الملكي في ذاك الوقت إلى هذه المطالب وردّ المذكّرة، ممّا دعا الشيخ المراغي إلى الاستقالة من منصبه.

وعيّن الشيخ محمّد الأحمدي الظواهري شيخاً للأزهر خلفاً له، ومع أنّه من رجال الإصلاح، إلّا أنّه كان يرى علاج الأُمور بالرفق ومطالبة أولياء الأُمور بالتفاهم معهم في تنفيذ برامج الإصلاح.

ولذلك عارضه كثير من العلماء والطّلاب، وقابل ثورتهم بالشدّة، ففصل كثير منهم من منصبه، من بينهم الشيخ شاتوت، وظنّ الكثير أنّ الشيخ الظواهري يرفض الإصلاح.

وفي يوم السبت ١٧ / سبتمبر / ١٩٣١ م تمّ فصل الشيخ شلتوت من العمل، فاتّجه إلى العمل بالمحاماة أمام المحاكم الشرعية مع زميله الشيخ علي عبد الرزّاق (وزير الأوقاف الأسبق) والكتابة في الصحف والمجلّات مطالباً بضرورة إصلاح الأزهر.

ولقد استفاد كثيراً من قيامه بالعمل في المحاماة، فقد فتحت له آفاق من الفكر الذي يتعلّق بالحياة العملية للناس.

وفي شهر فبراير سنة ١٩٣٥ أُعيد الشيخ شلتوت إلى عمله بالأزهر مع إخوانه المفصولين، فعيّن مدرّساً بكلّية الشريعة.

وعندما عاد الشيخ المراغي إلى مشيخة الأزهر مرّة ثانية عيّن الشيخ شلتوت وكيلاً لكلّية الشريعة. (الإمامان البروجردي وشلتوت رائدا التقريب: ١٤٥ ـ ١٤٦).

حياته.

ولد الشيخ مصطفىٰ المراغي في سنة ١٣٠٣ هـ (١٨٨١ م) في مراغة، من توابع محافظة سوهاج المصريّة، وبعد طفولته اتّجه لحفظ القرآن، وصار حافظاً للقرآن في مدة وجيزة.

وهو من تلامذة الشيخ محمّد عبده، ومن محبّيه وتابعيه، نشأ متأثّراً بأفكاره، يقول رشيد رضا بشأنه: «كان من خُلّص الأتباع والمحبّين للشيخ محمّد عبده».

اصطحبه الشيخ عبده في سفره إلىٰ السودان، وهناك عمل في القضاء.

والشيخ شلتوت يصف أُستاذه مثنياً عليه بقوله: «إنّ كلّ ما عند الشيخ المراغي من علم وفكر كان بسبب تتلمذه علىٰ يد الشيخ محمّد عبده»(١).

ويقول عنه محمّد تقي القمّي، الأمين العامّ لمجمع دار التقريب: «وهو ـ أي: الإمام المراغي ﷺ ـ رجل موقّر وشخصية ذات هيبة، يمتلك الفكر المنظّم والمتناسق والمعرفة الواسعة، وكان ناشطاً فعّالاً، وكان له دور كبير في إيجاد العلاقات بين الأشخاص، والاتّفاق علىٰ النقاط الأساسيّة، وقد هيّأ الأجواء المناسبة لبعض كبار الأعلام وعلماء الدين، وعلىٰ رأسهم الشيخ مصطفىٰ عبد الرزّاق والشيخ عبد المجيد سليم»(٢).

وقد خلّف آثاراً في الموضوعات القرآنية والمعارف الإسلاميّة، منها: الأولياء والمحجوزون، بحث في ترجمة القرآن، أبحاث لغويّة ودروس في تفسير

---

(١) روّاد التقريب (محمّد عبده): ٥٤.
(٢) اتّحاد المذاهب الإسلاميّة: ٦٥.

سورة لقمان، والحجرات، والحديد، والعصر، و...[١].

توفّي في رمضان سنة ١٣٦٤ هـ، ودفن في مقبرة «السيّدة نفيسة» بعد تشييع جليل ومهيب لجنازته[٢].

تلامذته

١ ـ الأُستاذ عبّاس محمود العقّاد.

الشاعر والمجدّد والناقد والصحفي المصري المعروف. ولد سنة ١٣١١ هـ (١٨٨٩ م) في أسوان[٣]، مهنته الأصلية كانت الصحافة، لكنّه كان شاعراً مُجيداً متضلّعاً في الشعر، وأكثر آثاره التي خلّفها كانت في مجال الشعر، منها: ديوان شعره، وحي الأربعين، هديّة الكروان، عابر السبيل. ومن مؤلّفاته الأُخرى: عبقريّة محمّد ﷺ، وعبقريّة عمر، ضمن سلسلة عن «أعلام الإسلام»[٤].

٢ ـ الشيخ عليّ عبد الرزّاق[٥].

الاستقالة من الأزهر

كان الشيخ مصطفىٰ المراغي قد قرّر ـ إذ هو المفكّر الداعية للإصلاح ـ أن

(١) روّاد التقريب (محمّد عبده): ٥٤.

(٢) الأعلام الشرقيّة ١: ٤٠٠.

(٣) مدينة أسوان مركز محافظة أسوان المصريّة، تقع علىٰ ساحل نهر النيل، وفيها سدّ أسوان، من أكبر وأشهر السدود في مصر، وأهمّ مدنها: أدفو، كوم أمبو، ونصر. (المنجد في الأعلام: ٤٥).

(٤) الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث: ٢٩٠ وما بعدها.

(٥) مجلّة أخبار التقريب / العددان: ٤٥ و٤٦ / صفحة: ٢٧.

ينفّذ برامجه الإصلاحيّة في الأزهر(*).

(*) كان الشيخ محمود شلتوت أحد الأعلام في سلسلة الذين نادوا بإصلاح الأزهر وتطوير نظامه، فمن المعلوم أنّ الأزهر الشريف ليس هو الهيكل المادّي المكوّن من الأحجار والأخشاب وغيرهما من موادّ البناء الأُخرى، وإنّما هو العلم والثقافة والفكر، والتعرّف على رياض الشريعة الغنّاء، في: العقيدة، والتفسير، والحديث، والفقه، وأُصول الفقه، والنحو، والصرف، والبلاغة، والأدب، والتاريخ، والمنطق، والفلسفة، وسائر ما يموج به هذا المعهد العريق من علوم وفنون وآداب.
وإذا كان الأزهر مثابة للناس في بيان الأحكام وتدريس العلوم المختلفة فإنّه بهذا الوصف يكون كائناً حيّاً قابلاً للنمو والتطوّر والتغيّر، كما تتطوّر وتتغيّر سائر الأحياء؛ لأنّ طبائع الأشياء تقتضي التطوّر، وإذا لم يتصوّر الشيء بذاته احتاج إلى التطوير إلى الأفضل والأكمل، فمبدأ التغيّر قانون أزلي تخضع له الأشياء، فالصحاري تتطوّر، والمدن تتطوّر، والقرى والنجوع، والإنسان ذاته له في حياته أطوار، ولا يوجد موجود لا يجوز عليه التغيّر، إلّا الخالق الأعظم تبارك وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً.
ولهذا المعنى وجدنا الأزهر الشريف تعتريه رياح التغيير والتطوير في أدائه لمهمّته العلمية الكبيرة، فلم يكن في عهد الأزهر الأوّل توجد امتحانات للطّلاب، بل كانت الإجازة العلمية يعطيها الشيخ لتلميذه للدلالة على أنّه فهم نصّاً معيّناً، وتؤهّله هذه الإجازة للقيام بالتدريس.
وكان أوّل قانون نظّم الدراسة في الأزهر هو القانون الذي أصدره الخديوي إسماعيل حاكم مصر سنة ١٢٨٨ هـ الموافق لسنة ١٨٧٢ من التاريخ الميلادي، وآخر قانون ينظّم الأزهر والهيئات التي يشملها هو القانون رقم ١٠٣ الصادر في سنة ١٩٦١.
كان الذين ينادون بالتغيير والتطوير للأزهر الشريف يلاقون في بعض الأحيان معارضة شديدة من بعض الشيوخ في الأزهر الذين يتخوّفون من التغيير والتطوير إلى الأفضل في أداء الأزهر الشريف لمهامّه العلمية..
وممّن نادوا بتطوير الأزهر الشيخ محمود شلتوت، ولكنّ أراءه الإصلاحية للأزهر لقيت معارضة شديدة من المشرفين على سياسة الأزهر، انتهت بصدور قرار بفصله من العمل بالأزهر في ١٧ من شهر سبتمبر سنة ١٩٣١ هو وبعض من زملائه من شيوخ الأزهر، الذين يؤيدون فكرته الإصلاحية، وكان قرار فصله من الشيخ الظواهري، شيخ الأزهر في ذلك ←

....

→ الوقت ..

ومع هذا ظلّ الشيخ يتابع نقده لسياسة الأزهر، واستمرّ يعمل على شيوع أفكاره الإصلاحية، ينشرها في الصحف اليومية والمجلّات، وعمل في فترة فصله بالمحاماة، واشتغل بالبحوث العلمية، وفي سنة ١٩٣٥ أُعيد للأزهر، وعيّن مفتّشاً بالمعاهد الأزهريّة، ثمّ وكيلاً لكلّية الشريعة الإسلامية، ثمّ عضواً بالمجمع اللغوي.

بدأ القرن العشرون وقد أصبح للأزهر في الحياة الثقافية ما يجعله ينساب في نسيجها كلّه، لم يعد مجرّد قلعة للعلم والدين، ولا مجرّد سياج يحمي حقوق الأُمّة ويعبّر عن إرادتها ويصل بصوتها إلى الحكّام والأُمراء، بل أصبح الأزهر ـ إضافة إلى ذلك كلّه ـ يرى نفسه قائد العقل المسلم، وتهيّأت في داخله منذ أواخر القرن التاسع عشر حركة إصلاحية سعت إلى تطوير مؤسّساته وتعديل مناهجه، وبدأت قوانين تنظيم الأزهر يتتابع صدورها.

ومن أبرزها في نهاية القرن التاسع عشر القانون الذي وضع في يوليو سنة ١٨٩٦، وأشرف على تنفيذه مجلس إدارة يضمّ طائفة من كبار علماء مصر والإسلام..

خلصت نيّتهم وتوافرت لديهم وسائل التنفيذ وإصرارهم عليه، وهم المشايخ: حسونة النواوي، ومحمّد عبده، وسليم البشرى، وعبد الكريم سلمان، وسليمان العبد، وكان لكلّ واحد من هؤلاء جهوده العلمية، وإنتاجه الفكري في مجال إصلاح العقل: محمّد عبده في «رسالة التوحيد» وتقاريره الإصلاحية، وسليمان العبد في «باكورة الكلام»، وغيرهم ممّن تصدّروا للتدريس في الجامع الأزهر ومدرسة دار العلوم..

وقد جاء قانون تنظيم الأزهر على أيدي هؤلاء ليضمّ من وجوه الإصلاح ما رأوه كفيلاً بإنهاض الأزهر. ولأوّل مرّة وضعوا شروطاً للانتظام في سلك الجامع الأزهر. فقرّروا إلّا يعتبر من طلبة الأزهر إلّا من بلغ الخمس عشر سنة على الأقل، وأن يكون له دراية بالقراءة والكتابة، وحافظاً نصف القرآن الكريم، وقسّمت العلوم إلى قسمين: مقاصد، ووسائل.

القسم الأوّل: يضمّ مواد: التوحيد، والأخلاق الدينية، والفقه، وأُصوله، والتفسير، والحديث.

والقسم الثاني: يستوعب: النحو، والصرف، والمعاني، والبيان، والمنطق، ثمّ الحساب والجبر، والعروض، والقافية.

وشجّع القانون الطلبة بوضع مكافآت لمن يتفوّق في تاريخ الإسلام، أو يبرز في الإنشاء قولاً ←

. . . .

→ وكتابةً، واللغة متناً ومبادئ، والهندسة، وتقوّم البلدان، ومنع التقيّد في الدراسة بكتب دون أُخرى..

وحرّم قراءة التقارير والحواشي في السنوات الأربع الأُولى، وأجازها بعد ذلك، وجعل أقلّ مدّة للدراسة اثني عشرة سنة وأكثرها خمس عشرة سنة، وجعل الامتحان على مرحلتين: الشهادة الأهلية، وهي لمن قضى ثماني سنوات فأكثر، والشهادة العالمية، وهي لمن قضى اثني عشرة سنة فأكثر، وجعل لحامل كلّ شهادة أهلية وظائف معيّنة.

لقد فتح هذا القانون أبواب الأزهر كلّها، وضرب في كلّ واحد منها بسهم من الإصلاح، ولفت الذهن إلى أنّ هناك خيراً غير الذي عرف إلى يوم وضعه، وأنّ التمسّك بما كان عليه من قبلنا لا معنى له مادام لا يطابق الواقع ولا يتّفق مع حاجات العصر.

ولا شبهة في أنّ الأزهر قد تغيّر بعد القوانين الإصلاحية، إن لم يكن من جهة العلم وتحصيله، فمن جهة قابلية أهله للرقي، فقد أصبحوا طلّاب إصلاح بعد أن كانوا لا يطيقونه إلّا مغلوبين على أمره.

وقد سمّي هذا القانون بإصلاح الشيخ محمّد عبده، وقد ظلّ مطبّقاً عشر سنوات، ثمّ انفرط منهجه وغاب أثره بخروج الشيخ محمّد عبده من مجلس الإدارة، ثمّ وفاته سنة ١٩٠٥، إلّا أنّ القانون وضع تلاميذ الأستاذ الإمام على درب جديدة ومسالك مستحدثة، تمثّلت في الثورة على ما كان في الأزهر من مناهج للدرس ومراجع الدراسة، وأظهرت كوكبة من تلاميذ الإمام محمّد عبده مقدرة فائقة في النقد المنهجي، كان في مقدّمتهم حسين والي في كتابيه «التوحيد» و«كلمة التوحيد»، والشيخ بدر الدين الحلبي في كتابه الهامّ «التعليم والإرشاد»، والعلّامة طنطاوي الجوهري في مؤلّفاته وتفسيره، والشيخ محمّد مصطفى المراغي ـ أُستاذ العلّامة محمود شلتوت ـ في أعماله وأقواله.

ولقد كان هذا التطوّر عظيماً، إذا قيس بالقرن التاسع عشر الذي تراكمت فيه العصبية المذهبية في رحاب الأزهر على نحو أرهق العقل، وشوّه النقل، حتّى إنّه يروي صاحب «التعليم والإرشاد»: «لقد كان أهل المذاهب في مصر من نصف قرن ـ الكتاب صادر سنة ١٩٠٦ ـ مضى كالدول المتحاربة، لا يتأخّر صاحب مذهب عن أذيّة صاحب مذهب آخر متى لاحت له فرصة وأمكنته. ولقد سمعت الشيخ عبدالرحمان البحراوي يقول: كنّا إذا خرجنا من الأزهر للحضور على السيّد أحمد الكتبي مفتي الحنفية بمكّة آخر عمره بزاوية ←

....

← العيني بقرب الأزهر خرجنا وكلّ واحد منّا قد جعل عباءته على رأسه يداري بها شخصه عن الناس، وكان من يسمع بحالنا يسمعنا من القول ما كنّا لا نجد بدّاً من تحمّله والصبر عليه».

يضاف إلى ذلك الاعتماد في الدرس على كتب المتأخّرين، وهي عصية على الفهم، لا يتّسع بها عقل، ولا ينمو من خلالها فكر، وأصبحت قراءة المقرّرات الدراسية والامتحان فيها من أشدّ الأمور، حتّى ليذكر الشيخ بدر الدين الحلبي: أنّه في سنة ١٣١٧ هـ كان الناجحون في امتحان الكفاءة من طلبة الأزهر في فقه أبي حنيفة ثلاثة طلّاب، اثنان من سوريا والثالث من مصر، وذلك من جملة عدد من دخلوا قاعة الامتحان، وكانوا أكثر من ثلاث مائة.

لقد كان توجيه الأستاذ الإمام إلى تعديل المناهج وإصلاح المؤسّسة الأزهريّة عملاً رائداً، صحيح أنّه لم يسر به إلى نهاية الشوط، ولكن جاءت أجيال من مدرسته لتعمل على إكمال رؤيته وإنجاز رسالته.

ويعدّ الانفتاح على المذاهب الأربعة من أهمّ حصاد غرسه، وهو ما نادى به في مذكّراته وفي كتابه «الإسلام والنصرانية»، بل إنّه دعا إلى الانفتاح على الفقه الإسلامي كلّه بمذاهبه المختلفة، وهذا الإنجاز جاء بعد عصور ورث فيها الأزهر روح التعصّب المذهبي حتّى الكمال بن الهمام عن أحد علماء الحنفية منع المناكحة بين أهل السنّة والاعتزال.

وكان الشيخ محمّد مصطفى المراغي المدرّس والقاضي وشيخ الأزهر ـ بعد ذلك ـ هو الذي أكمل المسيرة، ونزل بالأفكار إلى أرض الواقع في قوانين المحاكم وفي موادّ الدراسة، والمراغي ـ كما وصفه محمود شلتوت ـ ما خرج بروحه وعلمه وعقله وتفكيره عن أن يكون تلميذاً للإمام محمّد عبده.

لقد تحرّكت مياه كثيرة في عالم الفكر والتشريع، وأفرز الواقع جبهات لمقاومة التبشير، ومجابهة الاستجلاب التشريعي، وأصبح الانفتاح المذهبي ضرورة لأمرين:

الأوّل: الإيمان بصحة الأصول التي تنتمي إليها كلّ المذاهب الإسلامية، وهي أصول واحدة ومشتركة.

الثاني: الواقع المتحرّك الذي يحتاج في صناعته على عين الشريعة إلى الفقه الإسلامي كلّه باعتباره وحدة متكاملة لا تفاريق مذهبية.

يقول أحد تلاميذ الإمام مؤكّداً دعوته إلى تعليم يستوعب كل المذاهب وإلى تشريع يتعامل ←

. . . .

← مع كلّ المذاهب: «ولو ذهبنا نستقرئ أفراد المضارّ التي تنشأ من التقيّد بمذهب واحد في المحاكم الشرعية لخرجنا إلى حصر ما لا يبلغه الحصر، وعدّ ما لا يستوعبه العدّ».

لقد كانت الدعوة إلى الانفتاح الفقهي على المذاهب الأربعة فكرة راودت بعض رجال الإصلاح من قبل، أشار إليها الكواكبي في «أمّ القرى»، وظهر لها دعاة في المغرب العربي، ولكنّها في مصر بعد عصر الأستاذ الإمام تحوّلت إلى تيّار فاعل في الحياة الفقهية والتشريعية، له أسبابه ودواعيه، ونادى الكثيرون بكتاب جامع للفروع الفقهية في المذاهب الأربعة، يضمّ ما هو أيسر على الناس في العبادات وأضبط لأمورهم في المعاملات، بل هي دعوة ذات شقّين:

الأوّل: كتاب جامع لفقه الفروع في المذاهب الأربعة مع التخيّر مراعاةً لحال الناس، وفي هذا الصدد صدرت مؤلّفات كثيرة، كانت ذروتها اللجنة التي شكّلت من علماء المذاهب الأربعة في الأزهر الشريف برئاسة شيخ الأزهر في أوائل العشرينات من القرن الماضي، واستهدفت إعداد كتاب فقهي على المذاهب الأربعة، وضع له نموذج وافقت عليه اللجنة في ١١ فبراير سنة ١٩٢٣. وكان ثمرته كتاب «الفقه على المذاهب الأربعة» الذي ينسب خطأً للشيخ عبد الرحمان الجزيري. وقد أضاف إليه بعض علماء الإمامية مذهبه ليكون جامعاً للمذاهب الخمسة.

الثاني: الاتّجاه في التشريع والفتوى على المذاهب الأربعة، بل إنّ الشيخ المراغي على الرغم من كونه حنفي المذهب، كان يأخذ من كلّ المذاهب ما يناسب العصر والمصلحة، ورأى خطورة الأخذ بأقوال المذاهب الأربعة دون سواهم، وكتب عام ١٩٢٧ (بحوثاً في التشريع الإسلامي وأسانيد قانون الزواج والطلاق) دعا فيها إلى (اختيار ما صحّ دليله، وما قام البرهان على أنّ فيه مصلحة للناس من أقوال أئمّة الهدى وفقهاء الإسلام)، وقد يقضي ذلك على تلك الفكرة الخاطئة فكرة وجوب تقليد المذاهب الأربعة دون سواها، سواء أوافقت مذاهبهم مصالح المجتمع أم خالفتها، ثمّ قال: «والخلاصة: أنّه يجوز تقليد غير المذاهب الأربعة متى صحّ النقل عنهم وفهم مرادهم»، بل إنّه يشير إلى غير مذاهب أهل السنّة بقوله: «وفي العالم الإسلامي الآن مذاهب منتشرة يدين بها ملايين المسلمين، في اليمن وفارس وبلاد الهند، ولهم كتب مطبوعة وغير مطبوعة، ولهم متون وشروح وحواشي، مثل التي عندنا سواء بسواء». (الإمامان البروجردي وشلتوت رائدا التقريب: ١٩٤ ـ ١٩٥ و٢١٧ ـ ٢٢٠).

لذا قدّم لائحته الإصلاحيّة إلىٰ الدولة الحاكمة في ذلك الوقت[١]؛ لتحصيل موافقتها في تنفيذ هذه البرامج.

وكان الشيخ شلتوت بدوره قد دعم برامج المراغي الإصلاحيّة عبر جملة من مقالاته، والتي كان يبيّن فيها أيضاً أنّ هذه البرامج تُعدّ خطوة في طريق الارتقاء بالمستوىٰ العلمي والثقافي للجامعة.

وقد خالف بلاط ملك مصر الفاسد العميل هذه اللائحة، فاستقال المراغي من رئاسة جامعة الأزهر احتجاجاً علىٰ هذا العمل، ثمّ عيّن البلاط الشيخ محمّد الظواهري[٢] رئيساً للجامعة بعد قبوله استقالة المراغي.

وقد قرّر الظواهري بعد استقراره في منصب رئاسة الجامعة تنفيذ برامج البلاط الملكي، لكنّه واجه مخالفة العلماء أصحاب الفطرة السليمة والضمير الحيّ، فقرّر ـ إذ رأىٰ نفسه في مواجهة تيّار مخالفيه ـ أن يعالج أسباب هذه المخالفة، وذلك بإقالة بعض الزعماء الأساسيّين في هذا التيّار من العمل، ومنهم الشيخ محمود شلتوت، فعزله من وظيفته، وكان ذلك سنة ١٣٥٣ هـ (١٩٣١م).

لكنّ شلتوت لم يبقَ عاطلاً عن العمل لحظة واحدة بعد إقالته، بل عمل

---

(١) الحكومة المصريّة هي التي تتولّىٰ إدارة جامعة الأزهر، وهي المسؤولة عن تعيين رئيس الجامعة، لذا فإنّ أيّ تغيير في برامج الجامعة يجب أن يكون بموافقة الحكومة القائمة في ذلك الوقت.

(٢) الشيخ محمّد الأحمدي الظواهري: الشيخ التاسع والعشرون للأزهر. ولد سنة ١٢٩٦ هـ في مدينة «كفر الظواهري»، وبعد إتمام تحصيل العلوم الأوّلية أخذ العلم عن كبار العلماء، مثل محمّد عبده. وفي سنة ١٣٤٩ هـ انتُخب لرئاسة حزب الوفد، وفي سنة ١٣٥١ هـ وبأمر فؤاد الأوّل، عُيّن رئيساً لجامعة الأزهر. له آثار قيّمة، منها: رسالة في الأخلاق، العلم والعلماء، التفاضل بالفضيلة. توفّي في جمادىٰ الأُولىٰ سنة ١٣٦٣ هـ. (الأعلام الشرقيّة ١: ٣٥٩).

محاميّاً في المحاكم الشرعيّة برفقة تلميذه الشيخ علي عبد الرزّاق، وكاتباً في الصحف، ولم يتراجع عن مواقفه وآرائه الأساسيّة قيد أنملة، وكان يؤكّد في مقالاته التي ينشرها علىٰ ضرورة إجراء الإصلاحات في الأزهر الشريف.

وقد تنبّه مسؤولو جامعة الأزهر الشريف ـ بعد مرور فترة من الزمن ـ إلىٰ أنّ عدم وجود الأساتذة الكبار مثل شلتوت في الجامعة سيوجّه ضربة لشأن ومكانة تلك الجامعة، فوجّهوا في سنة ١٣٥٧ هـ (١٩٣٥ م) الدعوة إليه للعمل والتدريس في الجامعة، وبناءً علىٰ ذلك شرع بالتدريس في كلّية الشريعة في تلك السنة نفسها.

التقديرات العلمية

الشيخ شلتوت، وعلىٰ مدىٰ حياته الفكريّة، كان موضعاً للتقدير والتكريم لعدّة مرّات(*).

(*) وقبل هذا التاريخ تسنّم الشيخ عدّة مناصب، ففي سنة ١٩٣٩ م عيّن الشيخ محمود شلتوت مفتّشاً بالمعاهد الدينية، وكان لتقريراته وملاحظاته أثر كبير في إصلاح النواحي العلمية والإداريّة بالمعاهد الأزهريّة، ثمّ أُعيد مرّة ثانية إلى وكالة كلّية الشريعة.
وفي سنة ١٩٤١ م نال شرف عضويّة هيئة كبار العلماء بإجماع كافّة أعضائها، وذلك برسالته القيّمة التي أعدّها لهذا الغرض بعنوان: «المسؤولية المدنية والجنائية في الشريعة الإسلامية»، وكانت عضويته بتلك الجماعة إرهاصاً بظهور مجمع البحوث الإسلامية الذي نبتت فكرته في عقله بعد فوزه بعضويّة جماعة كبار العلماء، وكان له أكبر الأثر في ظهوره إلى حيّز الوجود ليؤدّي دوره العالمي الخالد حتّى اليوم.
وعيّن فضيلته سنة ١٩٤٦ م عضواً بمجمع اللغة العربية، وانتدبته جامعة فؤاد (القاهرة) لتدريس مادّة فقه القرآن والسنّة لطلبة دبلوم الشريعة الإسلامية، فقام بمهمّته خير قيام.
وفي سنة ١٩٥٠ م عيّن مراقباً عامّاً لمراقبة البحوث والثقافة الإسلامية بالأزهر، وقد ←

حيث منح كمثال على ذلك شهادة الدكتوراه الفخريّة من جامعة تشيلي سنة ١٣٨٠ هـ(١٩٥٨م)، ومن جامعة جاكارتا كذلك سنة ١٣٨٢ هـ(١٩٦٠م)[1].

رئاسة الأزهر

عيّنت حكومة مصر آنذاك الشيخ المراغي رئيساً للأزهر مرّة أُخرىٰ في سنة ١٣٥٩ هـ(١٩٣٧م)، وهو بدوره عيّن شلتوت عميداً لكلّية الشريعة؛ للياقته وخبرته العلمية، وكذلك لمحبّة المراغي الكبيرة له، وفي سنة ١٣٧٩ هـ(١٩٥٧م) عيّنه نائباً لرئاسة جامعة الأزهر.

وفي سنة ١٣٨٣ هـ(١٩٦١م) عيّنت هيئة رئاسة الجمهوريّة المصريّة الشيخ رئيساً لجامعة الأزهر، وقد قدّم طيلة مدّة رئاسته الخدمات الجليلة للأزهر وللإسلام، وكان من أهمّ برامجه وأعماله في الأزهر نبذ مظاهر التعصّب الطائفي والمذهبي.

← استطاع أن ينهض برسالتها في فترة وجيزة وأن يوثّق صلتها بالعالم الإسلامي في مختلف القارّات.

وفي سنة ١٩٥٧م اختاره الرئيس محمّد أنوار السادات، وكان وقتئذ يعمل سكرتيراً عامّاً للمؤتمر الإسلامي ومستشاراً للمؤتمر الإسلامي، ثمّ عيّن وكيلاً للأزهر الشريف..

وكان مع كلّ تلك المهامّ عضواً في مجلس الإذاعة الأعلى، وعضواً في اللجنة العليا لمعونة الشتاء، وعضواً في اللجنة العليا للعلاقات الثقافية الخارجية، كما كان رئيساً للجنة العادات والتقاليد بوزارة الشؤون الاجتماعية، كما كان صاحب نشاط بارز في الدعوة الإسلامية عبر قنواتها المختلفة، وخطيب الجمعة بمسجد الأمير محمّد علي بقصره بالمنيا، ويردّ على الرسائل، ويفتي في المشكلات، ويلتقي بزعماء المسلمين، ويحاضر في الكلّيات، ثمّ يتابع تأليف كتبه وأبحاثه. (الإمامان البروجردي وشلتوت رائدا التقريب: ١٠١ ـ ١٠٢).

(١) الأزهر في ألف عام ٣: ٤٤٤.

عندما سأله مراسل صحفي: ما هي وظيفة وهدف جامعة الأزهر في دورته الجديدة؟

أجاب: أهمّ الأهداف الأساسية في برنامجي هو نبذ التعصّبات، والعناية بالبحث والدراسة في علوم الدين في أجواء مليئة بالصفاء والأُخوّة، والبحث للحصول علىٰ أفضل الطرق التي يمكن من خلالها تعزيز أواصر الدين والإيمان، واتّباع الدليل والبرهان القوي حيثما كان مصدره.

وإذا التزم المسلمون بالعمل بهذه الأُمور فإنّهم سيشكّلون قوّة عظمىٰ، من شأنها أن ترفع وبكلّ سهولة وهدوء من شأنهم ومنزلتهم، وأن يتخلّصوا من عبء مشاكل الماضي الناشئة من التعصّبات، ليكونوا كروح واحدة تمثّلت في أجساد مختلفة (١).

ومن أهمّ إنجازاته عندما كان رئيساً لجامعة الأزهر: تدريس الفقه الشيعي إلىٰ جانب مذاهب أهل السنّة، ويقول بهذا الخصوص: «وها هو الأزهر، وعلىٰ أساس التقريب بين المذاهب الإسلامية، قرّر تدريس الفقه الشيعي والفقه السنّي، كلاهما علىٰ أساس الدليل والبرهان، وبلا أيّ نوع من التعصّب» (٢).

إقامة مراسم عاشوراء

ومن أعمال الشيخ شلتوت في فترة رئاسته للأزهر: إقامة مراسم العزاء

---

(١) اتّحاد المذاهب الإسلاميّة: ٣٥٥، روزنامه جمهوري إسلامي (صحيفة الجمهوريّة الإسلاميّة) / (١٩ / ١٠ / ١٣٧٩ هـ ش) / العدد الخاصّ / صفحة: ١٠.

(٢) روزنامه جمهوري إسلامي (صحيفة الجمهوريّة الإسلاميّة) / (١٩ / ١٠ / ١٣٧٩ هـ ش) / العدد الخاصّ / صفحة: ١٠.

الحسيني في يوم عاشوراء في ساحة جامعة الأزهر، وهذا الأمر يبيّن مدىٰ محبّته وعشقه الكبير لأهل البيت عليهم السلام، وخاصّة الإمام الحسين عليه السلام.

قال الأُستاذ محمّد واعظ زادة الخراساني الأمين العامّ السابق لمجمع التقريب بين المذاهب الإسلاميّة عن هذا الموضوع:

«في فترة رئاسة الشيخ شلتوت للأزهر، ولتكريم ذكرىٰ واقعة عاشوراء، كان يقام في يوم عاشوراء مجلس للعزاء في ساحة الجامعة، وأتذكّر أنّ الصحف في إيران آنذاك قد نشرت هذا الخبر»[1].

نشاطاته العلميّة

١ ـ تأسيس أكاديمية البحوث الإسلاميّة.

في هذه المؤسّسة التي أسّسها الشيخ شلتوت يلتقي ممثّلو كلّ المذاهب الإسلاميّة؛ للبحث في الموضوعات الإسلاميّة المختلفة[2].

٢ ـ المشاركة في مؤتمر هولندا[*].

---

(١) روزنامه اطّلاعات (صحيفة اطلاعات) / (١٣ / ٤ / ١٣٧٤ هـ ش) / العدد الخاصّ / صفحة: ١٤.

(٢) الناس والدين: ١٦.

(*) في سنة ١٩٣٧ م عقد بأُوروبا مؤتمر لاهاي الدولي بهولندا (للقانون المقارن)، ودعي إليه الأزهر، فوقع الاختيار على الشيخ محمود شلتوت ليكون ممثّل الأزهر في هذا المؤتمر، ومثّل وزارة العدل الشيخ عبدالرحمان حسن، ومثّل جامعة فؤاد الأوّل الدكتور عبد الرزّاق السنهوري وكان عميداً لكلّية الحقوق.

وألقى الشيخ شلتوت بحثاً هامّاً تحت عنوان: (المسؤولية المدنية والجنائية في الشريعة الإسلامية) وسط بحوث ألقاها ممثلو دول العالم أجمع، فكشف الشيخ ببحثه هذا النقاب عن ←

. . . .

→ نواح كثيرة، وكنوز دفينة، وأبان للعالم أجمع جوانب في الشريعة الإسلامية تشهد بعظمتها واتّساعها ممّا لم تعرض لها القوانين، ولا أثارت فيها بحوثاً، ممّا لزم التنويه بحاجة البشريّة إلى هذا البحث الذي أضاف فيه الشيخ إلى جانب الإقناع بأهمية التشريع الإسلامي جانب الإصرار على أن يلقي البحث باللغة العربية لتصبح لغة القرآن ولأوّل مرّة لغة رسمية وسط مؤتمر دولي، وقد أثار هذا البحث رجال القانون في العالم بما أثبت من مبادئ قيّمة، ودارت حوله بحوث ومناقشات عديدة، كان من نتائجها أن سجّل المؤتمر بإجماع أعضائه قراره التاريخي الخطير بالنسبة لرجال التشريع الأوروبي، وقد جاء في هذا القرار:

١ ـ اعتبار الشريعة الإسلامية مصدراً من مصادر التشريع الحديث.

٢ ـ اعتبارها حيّة قابلة للتطوير.

٣ ـ اعتبارها قائمة بذاتها وليست مأخوذة عن غيرها.

٤ ـ تسجيل هذا البحث في سجّل المؤتمر باللغة العربية، واعتباره من المجموعة العلمية التي تدخّر للرجوع إليها.

٥ ـ استعمال اللغة العربية ـ لغة القرآن والشريعة الإسلامية ـ في دورات المؤتمر المقبلة، وأن يدعى إليه أكبر عدد من علماء الإسلام على اختلاف المذاهب والأقاليم.

وقد امتدّ نفع هذا البحث، فكان الرسالة العلمية التي تقدّم بها الشيخ شلتوت لنيل عضويّة جماعة كبار العلماء، وقد وافق عليها جميع الأعضاء، ونال بها الشيخ العضويّة بإجماع الآراء سنة ١٩٤١، وكان يومئذٍ أصغر الأعضاء سنّاً.

وقد اغتبط شيخ الأزهر الشيخ المراغي بمقدم الشيخ شلتوت عضواً بجماعة كبار العلماء، وباركت الجماعة حلوله بينهم، وبدأت تنشط، وذلك بفضل حيويّة وحماس الشيخ شلتوت الذي كان أصغر الأعضاء سنّاً، ممّا جعله قادراً على الإسهام في دفع الجهود وتنويع البحوث.

وكان من مظاهر ذلك أن تقدّم الشيخ شلتوت بمقترح جوهري يبعث في جماعة كبار العلماء فيضاً من الحركة، ويحدّد لها طريقها في العمل المثمر البنّاء..

وكان من أهمّ ما جاء في اقتراحه مايلي: أن يكون لجماعة كبار العلماء مكتب علمي دائم، وأن يكون لهذا المكتب مكان معيّن معروف، شأن كلّ الهيئات الرسمية التي تعمل لأغراض خاصّة. أمّا مهمّة هذا المكتب بعد إنشائه فهي ما يأتي:

←

في سنة ١٣٥٩ هـ (١٩٣٧ م) شارك الشيخ في مؤتمر لاهاي الدولي في هولندا مبعوثاً من جامعة الأزهر، بعنوان عضو مجلس ممثّلي الأزهر، وقد قدّم لهذا المؤتمر مقالة بعنوان: «المسؤولية المدنية والجنائية في الشريعة الإسلاميّة»، وكانت علىٰ مستوى علمي وأدبي رفيع، ونالت إعجاب وتقدير أعضاء المؤتمر..

وفي ختام المؤتمر، وبالنظر لأهمّية الموضوع الذي تناولته هذه المقالة اختيرت كأفضل مقالة وطُبعت، وكذلك تمّ وقتها إعداد مادّتين منها لتكون من المواد النهائيّة للمؤتمر، وتمّت الموافقة عليها، وهما:

١ ـ للقوانين الإسلامية أهمّيتها وقيمتها، والتي تأتي من كونها مصدراً من مصادر التقنين الوضعي العامّ.

٢ ـ قيمة وأهمّية القوانين الإسلاميّة التي تمتلك مقوّمات التطوّر والتقدّم،

← * معرفة ما تهاجم به الأديان عامّة والدين الإسلامي خاصّة، والردّ عليه ردّاً مقنعاً بأُسلوب علمي ملائم لطريقة البحث الحديث.

* وضع الأُصول الكفيلة بتمييز ما هو بدعة ممّا ليس ببدعة، والعمل على نشر ذلك ليرجع إليه الناس.

* العمل على وضع مؤلّف يحتوي على بيان ما في الكتب المتداولة من إسرائيليات دسّت على التفسير وأخذها الناس على أنّها من معاني القرآن الكريم، والتي لا يدلّ على صحّتها نقل ولا يؤيّدها عقل.

* إصدار الفتاوى في الاستفتاءات التي ترد من المسلمين في جميع الأقطار إلى مشيخة جامع الأزهر.

* بحث المعاملات التي جدّدت وتجد في العصر الحاضر، وبيان حكم الشريعة فيها، حتّى يظهر للناس سعة صدرها وقدرتها على تلبية حاجات الناس في مختلف العصور.

* تنظيم عن طرق الوعظ والإرشاد، والإشراف على مجلّة الأزهر.

* التنقيب عن الكتب المفيدة في مختلف العلوم، والعمل على إحيائها وإخراجها إخراجاً علمياً. (الإمامان البروجردي وشلتوت رائدا التقريب: ١٧٥ ـ ١٧٧).

نابعة من قيامها بذاتها، وهي لا تأخذ موادّها من أيّ مصادر تشريعية أُخرىٰ[1].

٣ ـ عضويّة لجنة التفسير في الإذاعة.

وظيفة هذه اللجنة الإشراف علىٰ بثّ برامج تفسير القرآن الكريم من إذاعة مصر. وكان شلتوت واحداً من أعضائها الناشطين، فباقتراح منه كان يبثّ برنامج بعنوان: «حديث الصباح»، وكان بحثاً تفسيرياً، صباح كلّ يوم، قبل تلاوة آيات القرآن وبعدها.

٤ ـ عضويّة لجنة الإفتاء في الأزهر.

من أهمّ وظائف هذه اللجنة إصدار الفتاوىٰ في الموضوعات الفقهيّة المختلفة حسب احتياج المجتمع.

٥ ـ عضويّة اتّحاد علماء الطراز الأوّل في مصر.

كان شلتوت من أصغر الأعضاء سنّاً في هذا الاتّحاد، مع ذلك فقد اقترح في أوّل اجتماع له مع أعضاء الاتّحاد الأُمور التالية:

أ ـ تأسيس مكتب مخصّص للإجابة علىٰ الشبهات التي تطرح في المجتمع، وإزالة الخرافات التي أدخلها أعداء الإسلام في دين الإسلام باسم الإسلام، والتي ينشرها ويروّج لها بين المسلمين.

ب ـ مطالعة ودراسة معاملات البيع والشراء الجديدة التي ظهرت في المجتمع الإسلامي.

ج ـ تأليف كتاب علمي يجيب علىٰ الإسرائيليّات الموجودة في كتب التفسير المتداولة بين المسلمين، ويعتقد الناس أنّها التفسير الصحيح للقرآن الكريم، مع أنّه لا يوجد حديث يدلّ علىٰ صحّتها، وكذلك فإنّ العقل لا يقبلها.

---

(١) مجلّة أخبار التقريب / العددان: ٤٥ و٤٦ / صفحة: ٢٧.

د ـ تصفية وإزالة الخرافات والبدع من الكتب الدينيّة.

وبعد انتهاء الشيخ شلتوت من تقديم اقتراحاته علىٰ أعضاء هذا الاتّحاد، قبلها جميع الأعضاء وتقرّر في هذا الاجتماع نفسه تشكيل لجنة برئاسة الشيخ عبد المجيد سليم لمتابعة اقتراحات شلتوت ووضعها موضع التنفيذ.

وعندما تبيّن للشيخ شلتوت أنّ الأجواء مناسبة، اقترح تشكيل مركز علمي ثقافي باسم: «مجمع البحوث الإسلاميّة»، يتولّىٰ متابعة تلك الأُمور المقترحة، والإشراف علىٰ تنفيذها.

ومن الجدير بالذكر أنّ هذا المركز قد تأسّس في فترة رئاسته للأزهر.

٦ ـ آراء واقتراحات الشيخ شلتوت لدولة ألمانيا الغربية.

أرسلت دولة ألمانيا الغربية في حينها رسالة إلىٰ الشيخ شلتوت رئيس جامعة الأزهر، وطلبت منه فيها أن يبحث ويحقّق مسألة تعدّد الزوجات في الإسلام، ويرسل البحث إليهم؛ لعلّه يساعدهم في علاج مشكلة تزايد عدد النساء علىٰ عدد الرجال في هذا البلد.

وبدأ الشيخ بالتحقيق والدراسة في هذا الموضوع، ثمّ قرّر أن يترجم تحقيقه إلىٰ اللغات: الإنجليزيّة، والألمانية، والفرنسية. وقد ذكرت بعض المطبوعات آنذاك أنّ دراسة شلتوت هي أوّل دراسة ستحلّ مسألة الزواج وتزايد عدد النساء في ألمانيا.

٧ ـ عضويّة مجمع اللغة العربيّة في مصر(*).

(*) حيث كان الشيخ شلتوت أحد أعضائه البارزين، وكان زمان تعيينه في مجمع اللغة العربيّة سنة ١٩٤٦ م. (الإمامان البروجردي وشلتوت رائدا التقريب: ١٤٧).

الفصل الثاني :

مواقفه

١ ـ مساندة انتفاضة ١٥ خرداد

خرج الشعب الإيراني في اليوم الخامس عشر من شهر خرداد من سنة ١٣٤٢ هـ ش (٥ حزيران ١٩٦٣ م) إلىٰ الشوارع مندّدين بنظام الشاه؛ محتجّين علىٰ اعتقال قائدهم الإمام الخميني ﷺ، ويمكن أن يقال وبثقة: إنّ هذه الحادثة كانت أهمّ العوامل المحرّكة، بل نقطة إنطلاق الثورة الإسلاميّة الإيرانية. والشاه ـ والذي كان خائفاً من أن يخسر سدّة الحكم ـ كان قد أعطىٰ لرئيس وزرائه «أسد الله علم» الحريّة الكاملة في استخدام كافّة الوسائل لوأد هذه الحركة، وإنهاء هذا التمرّد؛ فأُعطيت الأوامر للجيش ولقوّات الأمن بقمع التظاهرات، فقامت هذه القوّات بإطلاق النار وبقسوة كبيرة علىٰ المتظاهرين، فقتلوا الكثير من العلماء والناس.

كان هذا التصرّف الوقح سبباً في إثارة موجة احتجاج عارمة لبعض المفكّرين الإسلاميّين في العالم ضدّ حكومة الشاه، ومنهم الشيخ محمود شلتوت..

فقد كتب رسالة لعامّة المسلمين ـ بعد ستّة أيّام من هذه الحادثة ـ وطلب منهم نصرة ومساندة العلماء المجاهدين في إيران الذين أُودعوا السجون، وكلّ جريمتهم أنّهم دافعوا عن الحقّ والحقيقة، وهو في بيانه هذا قد عدّ اعتقال العلماء وإهانة منزلتهم المقدّسة وصمة عار في جبين البشريّة.

وطلب من الشاه في رسالة وجّهها رسمياً إليه أن يتوقّف عن التطاول علىٰ

حرمة رجال وعلماء الدين، وأن يسارع في إطلاق سراح الموقوفين من العلماء والناس.

وهذا هو نصّ البيان:

« بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿هٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ (١)

أيّها المسلمون:

إنّنا علىٰ أبواب فترة من الزمن شَغَلَ بعض الناس فيها عن دينهم مظاهر المدنية وزخرف الحياة، بينما شخصت أبصار كثيرة في الشرق والغرب تتلّمس الخلاص والنجاة، وتفتّحت قلوب كثيرة علىٰ هدايّة الإسلام ونور الله، انساقت إليه بفطرة سليمة، أحسّت الجلال في وقاره، والأمان في رحابه، والقوّة في توجيهه، والسداد في إرشاده، والعدالة في تشريعه، فطرة الله التي فطر الناس عليها.

في هذه الفترة تتعالىٰ صيحات، وتتكرّر في وضح النهار اعتداءات، ضحاياها علماء الإسلام في إيران، والمبشّرون في دعوة الله، والقائمون علىٰ أمر دينه، وليس عليهم من مأخذ إلّا أنّهم يعلنون كلمة الله.

أيّها المسلمون:

إنّ العمل علىٰ إنقاذ المظلوم أمر يحتّمه الإسلام ويوجبه، ورفع الضرر عن الناس خُلق يأمر به الإسلام ويفرضه، وليس أدعىٰ إلىٰ النجدة من رفع الأذىٰ عمّن لحقه دفاعاً عن دينه، وتمسّكاً بواجبه، وتضحية من أجل رسالته.

وعلماء الإسلام في إيران قد تكرّر الاعتداء عليهم، ونالت ويلات السجون

(١) سورة آل عمران ٣: ١٣٨.

منهم، وحيل بينهم وبين الأمر بالمعروف الذي يطلبه الإسلام من كلّ قادر عليه، والنهي عن المنكر من كلّ مستطيع له، ولن يكون فضل هذه الدعوة إلّا للأُمّة، ولن يكون خيرها إلّا للجماعة، فحياة الأُمم بالأخلاق، وعماد الأخلاق دين الله، أحكامه وآدابه، وتشريعاته وإرشاداته، وإنّ أصحاب التوجيه وعوامل التأثير هم سند العلماء في كلّ أُمّة، وهم الأخلاقيّون في كلّ شعب، بدعواتهم وإرشاداتهم تتهيّأ للأُمّة أسباب الارتقاء، ويتحقّق للأبناء كمال الحياة.

وليس من ريب في أنّ قيام العلماء بواجبهم لن يتحقّق إلّا بالمحافظة عليهم، واحترام أقدارهم وإنزالهم منازل الكرماء.

وكيف يستقيم حال أُمّة تعطّلت رسالة العلماء فيها؟!

إذن لتحطّمت القيم، وأُهدرت المُثُل وضاع في الناس معنىٰ الإنسانيّة وكمالها، فما رسالة العلماء إلّا الشحنة الدافعة لكلّ عمل إنساني ووطني علىٰ مرّ الدهور.

وفي تاريخ إيران نفسها خير شاهد علىٰ ما لعلمائها من فضل يؤثر، وجهد يُشكر، وفدائية في سبيل الله والوطن لا تُنسىٰ ولا تُجحد.

أيّها المسلمون:

إنّ الاعتداء علىٰ علماء الدين جريمة في حقّ الأخلاق، ووصمة عار في جبين الأُمّة وفي وجه البشريّة، ويوم تهون أقدار العلماء لن تكون الكلمة إلّا لهوىٰ النفوس الجامحة، وقوىٰ الشرّ المخرّب، ونزعات الفساد المدمّرة، وماذا بعد الحقّ إلّا الضلال؟

ألا فليتنبّه المسلمون في كافّة الأقطار والشعب المسلم في إيران إلىٰ هذا الاعتداء الصارخ، وليعملوا علىٰ إنقاذ علماء إيران من طغاة إيران: ﴿**وَلَا تَرْكَنُوا**

إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِن دُونِ ٱللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [١].

إنّها سابقة لا يقدم عليها إلّا متحلّل من دينه، خارج عن عقيدته، منكر لما أكّده الله عزّ وجلّ من حقّ العلماء: ﴿شَهِدَ ٱللهُ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا ٱلْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ﴾ [٢]، ﴿إِنَّمَا يَخْشَىٰ ٱللهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاءُ﴾ [٣].

فاشهد اللّهمّ أنّ اعتداءً علىٰ حَمَلة رسالتك قد وقع، وأنّ رفع الأذىٰ عن أوليائك فرض في رقاب المؤمنين بك، وأنت نعم المولىٰ ونعم النصير.

١٨ محرّم سنة ١٣٨٣ هـ / ١٠ حزيران ١٩٦٣ م

محمود شلتوت ـ شيخ الأزهر» [٤]

٢ ـ استنكار اعتراف بعض الدول رسمياً بإسرائيل

استطاعت الولايات المتّحدة الأمريكيّة وبريطانيا في تاريخ ٨ / ٩ / ١٣٢٦ هـ. ش، الموافق لـ ٢٩ / ١١ (نوفمبر) / ١٩٤٧ م ـ بعد جهود دؤوبة وضغوط متواصلة ـ الحصول علىٰ موافقة مجلس الأمن العامّ التابع للأُمم المتّحدة علىٰ الاقتراح الذي تقدّمتا به إلىٰ المجلس، والذي ينصّ علىٰ تقسيم أرض فلسطين المقدّسة إلىٰ قسمين: قسم لليهود، وآخر للمسلمين [٥]..

وبعد خمسة أشهر أُعلن عن تأسيس دولة إسرائيل، ثمّ اعترفت بعض الدول

(١) سورة هود ١١: ١١٣.
(٢) سورة آل عمران ٣: ١٨.
(٣) سورة فاطر ٣٥: ٢٨.
(٤) بررسي وتحليلي أز نهضت إمام خميني (بحث وتحليل حول ثورة الإمام الخميني) ١: ٥٣٢، وانظر: موقف الإمام الخميني ﷺ تجاه إسرائيل: ٥٠ ـ ٥٣.
(٥) لاحظ موسوعة السياسة ١: ٧٧٦.

رسميّاً بهذه الدولة الغاصبة.

وإيران كانت إحدىٰ هذه الدول؛ إذ أنّ شاه إيران محمّد رضا كان من أبرز التابعين والمطيعين لأمريكا وبريطانيا، وكان يرىٰ أنّ بقاء حكمه رهن بهذه التبعية والطاعة العمياء لأوامر ورغبات هاتين الدولتين، كما أنّه كان يخشى من مواجهة المشاكل والاضطرابات داخل إيران، لذا قام أوّلاً بإرسال «عبّاس صيقل» إلىٰ فلسطين بذريعة الإشراف علىٰ أملاك الإيرانيّين المقيمين هناك، ثمّ بعد فترة وبتاريخ ٢٣ / ١٢ / ١٣٢٨ هـ. ش (١٤ / ٣ / ١٩٥٠ م) اعترفت وزارة «محمّد ساعد» رسمياً بدولة إسرائيل، وافتتحت قنصلية لدولة إيران في البيت المقدّس، وقد عُلم بعدها أنّ «ساعد» قد قبض من إسرائيل مبلغ ٤٠٠ ألف دولار رشوة مقابل عمله هذا.

بعد ذيوع الخبر، احتجّ العلماء والمفكّرون بشدّة علىٰ هذا العمل الوقح؛ فقد اتّخذ آية الله الكاشاني القائد الديني لإيران موقفاً حازماً تجاه هذا العمل، وانتقده بشدّة في خطاب عامّ له، جاء فيه:

«نحن الشعب الإيراني ليس لنا علاقة بالحكومة، وإذا كانت الحكومة قد اعترفت بإسرائيل، فالإيرانيّون المسلمون سيثورون بناءً علىٰ تكليفهم الشرعي، ولهذا السبب قمنا بتشكيل تنظيمات جماهيريّة لمحاربة اليهود الإسرائيليّين»(١).

وكذلك في البلدان العربيّة، فقد كان العمل المقرف لشاه إيران سبباً في إثارة ردود أفعال شديدة عند أبناء الشعب العربي، وعلماء الدين أبدوا انزعاجهم وعدم رضاهم بهذا العمل.

والشيخ شلتوت أيضاً استنكر ما قامت به حكومة إيران، ضمن رفضه لأيّ

---

(١) روابط خارجي إيران (علاقات إيران الخارجيّة) (من سنة ١٣٢٠ ـ ١٣٥٧ هـ ش): ٤٠٩.

نوع من العلاقات بين الدول الإسلاميّة وإسرائيل، وقد أرسل تلغرافاً بهذا الخصوص إلىٰ آية الله البروجردي في قم، وهذا هو نصّ التلغراف:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم

سلام الله عليكم وعلىٰ جميع إخوتنا وإخوتكم، علماء إيران الرحماء، وكلّ الذّين يدافعون ويحافظون علىٰ وحدة وائتلاف المسلمين.

أمّا بعد:

إنّ حضرتكم وجميع الإخوة الأعزّاء قد سمعتم حتماً بالخبر المحزن الذي حدث في هذه الأيّام، ألا وهو أنّ شاه إيران قد اعترف رسميّاً بإسرائيل، إسرائيل التي احتلّت أرض فلسطين، وشرّدت شعبها، وغصبت حقوقهم.

وقد تأثّر وتأسّف مسلمو العالم كلّهم أن يكون هناك ملك مسلم وشعبه مسلمون مؤيّداً لأعداء الإسلام، ويعقد معهم علاقات وصداقات وديّة، ونحن أرسلنا مرّتين إلىٰ حضرة الشاه تلغرافاً، وذكرنا أنّ هذا العمل سيتذرّع به مَن يريد أن يقطع العلاقات التي سعينا لإقامتها وتقويتها.

إنّكم تأثّرتم حتماً بسبب هذا العمل، وستبذلون ما في وسعكم لإدانته واستنكاره بشدّة، وسيكون لما تقومون به تأثير حسن حتماً؛ إذ صار واضحاً للناس جميعاً أنّنا نحن وأنتم أصدقاء في الجهاد والسعي لرفع راية الإسلام، وتثبيت الوحدة بين المسلمين. الرجاء أن ينتفع المسلمون من بركاتكم وسعيكم المفيد.

بانتظار رسالتكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم محمود شلتوت ـ شيخ الأزهر»[1].

---

(١) الشيخ محمود شلتوت (رائد التقريب): ٢٦٢.

ومع الأسف، فإنّ تلغراف الشيخ شلتوت قد وصل إلىٰ قم في الوقت الذي كان السيّد البروجردي علىٰ فراش المرض في المستشفىٰ، يعاني من الآلام التي لم تفارقه حتّى أودت بحياته.

لم يفتر عزم الشيخ شلتوت بعد هذه الحادثة؛ فقد أرسل رسالة أُخرىٰ إلىٰ آية الله السيّد محسن الحكيم المتوفّىٰ سنة ١٣٩٠ هـ[١]، طالباً منه أن يفعل شيئاً بخصوص هذه المسألة.

وهذا نصّ رسالة الشيخ شلتوت إلىٰ آية الله العظمى السيّد محسن الحكيم:

«**بسم الله الرحمٰن الرحيم**

الأخ الطيّب الأُستاذ العلّامة السيّد محسن الحكيم ـ النجف /العراق..

سلام الله ورحمته عليكم وعلىٰ جميع إخوتنا وإخوتكم، علماء العراق الأعزّاء، وكلّ مَن نهض للدفاع عن الحقّ والمحافظة علىٰ وحدة المسلمين والأُلفة بينهم، أمّا بعد:

إنّ حضرتكم وجميع الإخوة الأعزّاء قد سمعتم حتماً بالخبر المحزن الذي حدث في هذه الأيّام، ألا وهو أنّ شاه إيران قد اعترف رسميّاً بإسرائيل، إسرائيل التي احتلّت أرض فلسطين، وشرّدت شعبها، وغصبت حقوقهم.

هذا العمل الذي أثّر فينا جميعاً، مثلما أثّر في المسلمين في المشرق

---

(١) محسن بن مهدي بن صالح الحكيم الطباطبائي: أحد فقهاء الإماميّة الأعلام، وكبير مراجع التقليد والفتيا، ومن له الزعامة الدينيّة العامّة في وقته. له مواقف سياسيّة مشهورة على الساحة العراقيّة، وكان ممّن قام بمشاريع ومآثر خالدة. من مصنّفاته: مستمسك العروة الوثقى، نهج الفقاهة، حقائق الأُصول، شرح تشريح الأفلاك، دليل الناسك، شرح التبصرة. توفّي في النجف الأشرف عام ١٣٩٠ هـ. (معارف الرجال ٣: ١٢١ ـ ١٢٧، معجم رجال الفكر والأدب ١: ٤٢٣ ـ ٤٢٤، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٣٣٦ ـ ٣٣٧).

والمغرب؛ إذ كيف يكون هناك ملك مسلم، وشعبه مسلمون، مؤيّداً لأعداء الإسلام، ويمدّ لهم يد الصداقة؟! ونحن أرسلنا مرّتين إلىٰ حضرة الشاه تلغرافاً، ومرّة واحدة للسيّد العزيز البروجردي في قم، وذكرنا هذا الأمر الخطير، وأيُّ فتنةٍ ستعقبه؛ وخصوصاً أنّ هذا العمل صادر من ملك على شعب، أغلب طبقاته من إخواننا الشيعة الإماميّة، الأمر الذي سيكون ذريعة لمَن يريد الاصطياد في الماء العكر، وسيجدّون في قطع العلاقات التي سعينا لإقامتها وتقويتها، إضافة إلىٰ إنّ لهذا العمل مخالفة صريحة للدين، وليس له مبرّر. وبدون شكّ أنتم مثلنا متأثّرون من هذا العمل، وأنتم وسائر إخوتنا من علماء العراق المكرّمون ستبذلون ما في وسعكم لإدانة هذا العمل بكلّ شدّة؛ ليتراجع الشاه عنه، كما رجعت حكومة مصدّق في إيران عن مثل هذا العمل سنة ١٩٥١ م.

وحتماً سيكون لما تقومون به من عمل التأثير الواسع بين علماء إيران، والتأثير الحسن علىٰ كلّ الناس؛ إذ صار واضحاً للناس جميعاً أنّنا نحن وأنتم أصدقاء في الجهاد والسعي لرفع راية الإسلام، وتثبيت الوحدة بين المسلمين.

ونحن بانتظار تسلّم رسالة منكم، تبيّن مساعيكم الناجحة وأعمالكم الصالحة. حفظكم الله، ولينتفع المسلمون من بركاتكم وسعيكم المفيد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم محمود شلتوت ـ شيخ الأزهر»[1].

إنّ رسالتي الشيخ شلتوت هاتين قد بيّنتا عدّة نقاط مهمّة وأساسية، هي:

١ ـ اهتماماته ومساعيه في سبيل تحرير أرض فلسطين.

٢ ـ مواجهة الأشخاص الذين يقدّمون الدعم بأيّ شكل وبأيّ صورة إلىٰ

(١) الشيخ محمود شلتوت (رائد التقريب): ٢٧٦.

النظام الصهيوني.

٣ ـ علاقته الحميمة بعلماء الشيعة، والتي يمكن ملاحظتها من الأُسلوب العامّ للرسائل.

٤ ـ ارتباطه الدائم بعلماء الشيعة، ومشاورتهم في عظائم الأُمور التي تمرّ علىٰ المسلمين في العالم.

وبعد أن تسلّم آية الله السيّد محسن الحكيم هذه الرسالة، أرسل تلغرافاً لآية الله السيّد علي البهبهاني في طهران، وأبلغه بما حدث، فقام بدوره بإبلاغ الشاه بعدم ارتياح العلماء والمراجع لما فعله، وعدم رضاهم به.

الفصل الثالث :

شلتوت والوحدة الإسلاميّة

أفكار الوحدة

الوحدة بنظر الشيخ شلتوت

لا شكّ أنّ الشيخ محمود شلتوت كان من العلماء المعدودين الذين لهم عناية خاصّة بموضوع الوحدة الإسلاميّة(*).

وهو يعرّف الوحدة الإسلاميّة بهذا التعريف:

«قرّرت الأُخوّة الدينيّة بين المسلمين على أنّها شأن طبيعي من شؤون المؤمنين، يتحقّق من تلقاء نفسه بمجرّد الإيمان، ويستتبع جميع آثاره من حقوق وواجبات، وليست بوصيّة يوصيهم بها ولا تكليفاً جديداً يطلب تحقيقه بعد الإيمان... وربطت هذه الأُخوّة بين قلوب المسلمين حتّى أصبحوا أُسرة واحدة كبرى، يفرح المسلم لفرح أخيه، ويحزن لحزنه، ويمدّ يد المعونة إليه عند الحاجة،

(*) إنّ دور الإمام محمود شلتوت في تدعيم فكرة التقريب بين المذاهب لم يكن دوراً متكلّفاً ألمّ به عرضاً، وإنّما هو دور قائم على إيمان قوي بالفكرة، وأنّ تكوين شخصية الإمام الكبير ﷺ كانت مفطورة منذ بواكير حياته العلمية والوظيفية على إدراك قيمة الوحدة الإسلامية في تدعيم الأمّة الإسلامية، والأخذ بيد المسلمين، ليكونوا كما أخبر الحقّ سبحانه في محكم كتابه عنهم بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [سورة آل عمران ٣: ١١٠]. وليس أدلّ على ذلك من سعيه الصادق لإنشاء مجمع البحوث الإسلامية عندما عيّن شيخاً للأزهر، وذلك تحقيقاً لأمله في دعم تلك الوحدة التي يرى فيها خيراً للإسلام والمسلمين. (الإمامان البروجردي وشلتوت رائدا التقريب: ١٢٠).

ويرشده إذا غوى، ويهديه إذا ضلّ، ويرحمه إذا ضعف، ويعامله بما يحبّ أن يعامل به، ويمحضه النصح إذا استنصحه أو رأى عليه ما ينكره الشرع والدين، ويحفظه في ماله وعرضه غائباً وحاضراً، ويسعى في أصلاح ذات البين ورفع ما يقع من الخلاف، إخوة متصافون رحماء بينهم...»(١).

محور الوحدة

إنّ إحدىٰ المسائل المهمّة في تبلور الوحدة هي التوصّل إلىٰ نقطة مشتركة، تتّفق عليها جميع المذاهب الإسلاميّة، وهذه النقطة المشتركة هي القرآن الكريم.

يقول الشيخ شلتوت بهذا الخصوص:

«الإسلام دعا الناس إلىٰ الوحدة، وقرّر أنّ الاعتصام بحبل الله تعالىٰ هو المحور الذي يجب أن يتمسّك به المسلمون، ويجتمعوا حوله، وإنّ هذا الأمر قد ورد في كثير من آيات القرآن الحكيم، وأوضحها في قوله تعالىٰ من سورة آل عمران: ﴿**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ**﴾(٢)، فقد نهىٰ الله عن الفُرقة بشكل مطلق، وهي بالتالي شاملة للفُرقة الناشئة بسبب التعصّب الأعمىٰ، والحديث الصحيح يقول: «لا عصبية في الإسلام»»(٣).

وفي موضع آخر يرىٰ الشيخ شلتوت أنّ كتاب الله وسنّة رسول الله الوجه المشترك بين كلّ المذاهب، حيث يقول:

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة: ٤٣٤.

(٢) سورة آل عمران ٣: ١٠٣.

(٣) روزنامه جمهوري إسلامي (صحيفة الجمهوريّة الإسلاميّة) / (١٩ / ١٠ / ١٣٧٩ هـ ش) / العدد الخاصّ / صفحة: ٩.

«النهي عن الفُرقة متضمّن للنهي عن الفُرقة المذهبية كذلك؛ لأنّ المذاهب الإسلاميّة رغم كثرتها واختلاف طرقها، تستقي من أُصول واحدة: كتاب الله وسُنّة الرسول ﷺ. لكن رغم تعدّد المذاهب واختلافها في كثير من الأحكام، ووجود الآراء المتعدّدة، فهي جميعها تجتمع في نقطة مشتركة وكلام واحد: الإيمان بالمصادر الأصليّة وتقديس كتاب الله وسُنّة رسول الله ﷺ»(١).

عوامل الوحدة

ترك التعصّب الأعمىٰ

سأل مراسل صحفي الشيخ شلتوت: أيّ العوامل التي تبني بإحكام وحدة المسلمين؟

فقال في جوابه:

«أوّل العوامل: ترك التعصّب، وطلب الحقيقة مع مراعاة التعاون والعدالة، وهو ما يساعد في تحقيق الشرائط الأُخرىٰ، والتي من جملتها: التوجّه نحو ثقافة إسلامية واحدة، والانتفاع بجميع النظريات.

وفي هذا السبيل لابدّ من طباعة الكتب والنشريات، وإجراء تبادل للأفكار ومناقشة للآراء، وتعرّف الجامعات والمراكز العلمية في ما بينها، وإجراء مبادلات بين الأساتذة والباحثين، وعقد المشاورات واللقاءات، ومناقشة وحلّ المشكلات في أجواء أخويّة، وتعزيز وتقوية العلاقات العاطفية للمسلمين؛ ليكونوا كما قال الرسول الأكرم ﷺ: «إنّما المسلمون كالجسد الواحد، إذا

(١) نفس المصدر المتقدّم.

اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالسهر والحمّىٰ »[(١)] »[(٢)].

وبهذا الخصوص، يقول في موضع آخر: «لا ينبغي لأحد مطلقاً أن يتصوّر أنّه قد وصل إلىٰ الحقيقة المطلقة وغير القابلة للشكّ، ويجب علىٰ الآخرين الاقتداء به واتّباعه، بل يجب عليه أن يقول: إنّ ما توصّلت إليه هو أحد المعتقدات فقط، وهو نتيجة ما بذلته من جهود وتحقيق.. وأنا ـ في ما يتعلّق بهذا المعنىٰ ـ لا أسمح لأيّ أحد أن يقتدي بي بلا أساس، بل عليه أن يبحث وينقّب حتّىٰ يستوثق من كلامي، وحينذاك لو جاء بدليل محكم فسيحظىٰ بتأييدي »[(٣)].

دور علماء الدين

إنّ لعلماء وأعلام أيّ دين من الأديان دور هو الأهمّ والأخطر في تحقيق أهداف ذلك الدين، وعلماء الإسلام كذلك؛ فلو أنّهم يبذلون كلّ ما بوسعهم ويسخّرون كلّ جهودهم لمسألة الوحدة، وتنبيه الناس لأخطار الفُرقة والتفرّق، واستغلال أعداء الإسلام لمسألة التفريق بين المسلمين، لتحقّقت الوحدة الإسلاميّة، ولوقف العالم الإسلامي صفّاً واحداً مقابل الكفر العالمي.

الشيخ محمود شلتوت، ومن خلال الإشارة إلىٰ الدور المميّز للعلماء في تحقيق الوحدة الإسلاميّة، دعا جميع العلماء إلىٰ الاتّحاد والتضامن قائلاً:

«ها أنا ذا مرّة أُخرىٰ أدعو باسم الله، وباسم كتاب الله، وباسم الوحدة الإسلاميّة، وباسم الاعتصام بحبل الله المتين، أدعو علماء الشيعة والسنّة إلىٰ

---

(١) ورد الحديث بألفاظ متقاربة في: صحيح البخاري ٥: ٢٢٣٨، مسند أحمد ٤: ٢٧٠، السنن الكبرى للبيهقي ٣: ٣٥٣، الجامع لأحكام القرآن ٨: ٢٢٧، كنز العمّال ١: ١٤٩.

(٢) روزنامه جمهوري إسلامي (صحيفة الجمهوريّة الإسلاميّة) / (١٩ / ١٠ / ١٣٧٩ هـ ش) / العدد الخاصّ / صفحة: ١٠.

(٣) الناس والدين: ١٤.

التقارب والاتّحاد.

ومن المسلّم به أنّ أكرمهم عند الله (عزّوجلّ) هو مَن يسبق أوّلاً إلىٰ هذا الهدف المقدّس، ويرأب الصدوع التي حدثت في ما مضىٰ بين المسلمين، ويعيد لنا مجدنا وشعارنا، وهو: الوحدة الإسلاميّة»(١).

نعم للاختلاف الفكري، لا للتعصّب

إنّ الشيخ شلتوت قد ميّز بين الاختلافات العلمية التي تحدث في المجاميع العلمية، وبين التعصّب الجاف المتصلّب الذي يحدث بين بعض عوام المسلمين؛ إذ يقول في هذا الشأن:

«الاختلاف في الرأي ضرورة اجتماعية وأمر طبيعي، وذلك لا يمكن تجنّبه، لكنّه يختلف عن الاختلاف الذي يؤدّي إلىٰ التعصّب المذهبي والجمود الفكري.. التعصّب يقطع جذور الترابط بين المسلمين، ويؤجّج مشاعر العداء والضغينة في القلوب، لكنّ الاختلاف بسبب حقيقة علمية ـ مع الاحترام لآراء وأفكار المخالفين ـ محمودٌ ويمكن قبوله»(٢).

استغلال أعداء الإسلام

إحدىٰ مؤامرات الاستعمار والاستكبار العالمي هي إيجاد الاختلاف في ما بين مجتمعات المسلمين، ليحقّق في ظلّ هذا الاختلاف مصالحه المفضوحة،

---

(١) الشيخ محمود شلتوت (رائد التقريب): ١٨٣.

(٢) روزنامه جمهوري إسلامي (صحيفة الجمهوريّة الإسلاميّة) / (١٩ / ١٠ / ١٣٧٩ هـ ش) / العدد الخاصّ / صفحة: ١٠.

ويقوم بسلب ونهب خيرات ومنافع الشعوب المسلمة، وبدون شكّ لا يستمتع ولا يتلذّذ أيّ أحد بوجود الاختلاف والفُرقة بين المسلمين، كاستمتاع وتلذّذ رؤوس الاستكبار وطغاته، والعلّامة شلتوت في تحذيره للمسلمين يقول:

«أراد الله سبحانه وتعالىٰ لهذه الأُمّة أن تكون موحّدة الكلمة، وأن يجتنب المسلمون التكتّل والتحزّب الذي يضعف وينهك طاقة وقدرة بعضهم بعضاً، ممّا يمنح الدول الاستعماريّة الفرصة للاستفادة من تفريق المسلمين، وتحقيق أفضل العوائد لصالحها ولمنفعتها»[(١)].

مؤامرات الاستعمار في طريق الوحدة

لا يرضىٰ الاستعمار في أيّ وقت أن تظهر أُمّة الإسلام واحدة متوحّدة؛ لأنّه يعلم أنّ شكل الأُمّة الواحدة هذا سيقف في وجه مطامعهم، ولن يمنحهم الفرصة لنهب خيراتها ومقدّراتها؛ لذا فهو يقف في مواجهة أيّ جهد وسعي لتحقيق وحدة المسلمين..

وبهذا الخصوص ينقل المرحوم الميرزا خليل الكَمْرَئي خاطرة عن الشيخ شلتوت، تبيّن للمسلمين مدىٰ عمق مؤامرات الاستعمار والاستكبار العالمي، فقد كتب قائلاً:

«كنّا قد التقينا ـ أنا والهيئة المرافقة في رحلتنا إلىٰ مصر ـ شيخ جامع الأزهر، الشيخ محمود شلتوت، مرّتين: الأُولىٰ كانت في الجامع الأزهر، والأُخرىٰ في منزله الخاصّ، وفي هذا اللقاء أطلعَنا شيخ الأزهر علىٰ حقائق بعض الأُمور، وأفشىٰ لنا سرّاً، تبيّن منه تدخّل الأجانب وتأثير نفوذهم في أُمور ممالك

(١) مجلّة أخبار التقريب / العددان: ٤٩ و٥٠ / صفحة: ٤١.

الشرق، وحتّىٰ في ما بين مذاهب الإسلام.

قال عالم مصر المعظّم: أنا منذ زمن طويل ـ قبل نحو ثلاثين سنة ـ كنت قد قرّرت الاطّلاع علىٰ فقه الإمامية، وأردت في حينها بعض كتب فقه الإمامية من العراق وإيران، لكنّ الكتب لم تصلني؛ لأنّها كانت خاضعة لرقابة الرسائل، وهي تمنع منها ما تشاء، إلىٰ أن تحرّرت مصر من قيود الاستعمار، وبعد فتح قناة السويس وصلتني كتبكم وطالعتها، وتمّت الحجّة عليّ، وأصدرت تلك الفتوىٰ بدون أن أرضخ لتأثير أيّ منصب أو كلام»(١).

الكتّاب والمؤلّفون الجهلة المغفّلون

المؤلّفون إحدىٰ الكتل المهمّة التي لها دور أساسي ومؤثّر في طريق الوحدة الإسلامية.. والمحقّقون والكتّاب في أيّ بلد يمكن أن يقوموا بتوجيه الناس باتّجاه الوحدة، كما يمكن أن يقوموا ـ لا سمح الله تعالىٰ ـ بزرع بذور الفُرقة والنفاق، بعلم أو بدون علم.

الشيخ شلتوت الذي كان مطّلعاً علىٰ هذا الموضوع بشكل جيّد، ويرىٰ كيف أنّ بعض الكتّاب يضع الموانع في طريق الوحدة الإسلامية بما يكتبه من كتابات غير موزونة، قد كتب في انتقاده لهذه الكتلة:

«يقع الكثير من كتّاب الفرق الإسلامية تحت تأثير التعصّب المذموم والمنفّر، ويلهبون في كتبهم وكتاباتهم نار الحقد والعداوة بين أبناء أُمّة الإسلام الواحدة، وأيّ كاتب يكتب من الزاويّة الضيّقة للأُسلوب العقلي والعقيدة الباطلة

(١) الشيخ محمود شلتوت (رائد التقريب): ١٩٥، نقلاً عن روابط عالم إسلامي (علاقات العالم الإسلامي): ٧.

الذي لا يليق بالفرد المسلم، لا يلتفت إلىٰ أنّ الخسارة والضرر في مثل هذا الأُسلوب في الكتابة أكثر من الفائدة»(١).

دور الشيخ شلتوت في دار التقريب(*)

(١) مجلّة أخبار التقريب / العددان: ٤٩ و٥٠ / صفحة: ٤١.

(*) أُنشئت هذه الجماعة في القاهرة سنة ١٩٤٨م، واستمرّت إلى سنة ١٩٧٠م، وقد قام بإنشائها جماعة من الخلّص مبتغين من ذلك تأليف قلوب المسلمين، وتوحيد أُمتهم، وجمعهم على كلمة سواء، ونبذ التعصّب البغيض الذي يفرّق شمل الأُمّة؛ لكي يعود المسلمون كما كانوا أُمّة واحدة، رائدها إعلاء كلمة الله، وغايتها إعزاز دين الله ونشر شريعته وإبلاغ العالمين رسالة خاتم النبيّين محمّد ﷺ.

ولقد جمعت هذه الجماعة صفوة من أهل العلم والدين والرأي عند أهل السنّة والشيعة، وفي مقدّمة هؤلاء المغفور لهم: فضيلة الشيخ محمّد مصطفى المراغي، والشيخ مصطفى عبد الرزّاق، والشيخ عبد المجيد سليم، والشيخ شلتوت، وكلّهم قد تولّى منصب مشيخة الأزهر..

ومن الشيعة المغفور لهم: الإمام الأكبر الحاجّ آقا حسين البروجردي الزعيم الأكبر لعلماء الشيعة بإيران، ويسمّى: آية الله الكبرى، والإمام الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء الشيعي العراقي، والسيّد عبد الحسين شرف الدين الموسوي الشيعي اللبناني، والشيخ العلّامة محمّد تقي القمّي الذي كان أوّل من دعا إلى هذه الفكرة وإلى تأليف هذه الجماعة، وهو عالم من علماء الشيعة الإمامية بإيران، جاء إلى مصر والتقى بالعلماء والمتقّفين، وعرض عليهم فكرته، فوجد آذاناً صاغية وقلوباً واعية وأعيناً مبصرة، ووجد ترحيباً وإقبالاً وتشجيعاً، وقد اعتنق هذه الفكرة الأُلوف من مختلف البلاد الإسلامية، فانتسبوا إلى جماعتها.

وكان من أثر هذا التقارب وجهود المؤسّسين لجماعة التقريب ومنهج الشيخ شلتوت ﵀ أن قرّر الأزهر دراسة المذهب الشيعي الإمامي والزيدي في كلّية الشريعة، كما أنّ جامعة إيران أدخلت دراسة فقه السنّة في كلّية (المعقول والمنقول) بها، وكانت للدار مجلّة ربع سنويّة تصدر باسم «رسالة الإسلام»، تصدر في معظم أعدادها ببحث في التفسير لفضيلة الشيخ ←

. . . .

← محمود شلتوت.
والمنهج الذي سارت عليه جماعة التقريب بين المذاهب يتمثّل فيما يأتي:
١ ـ إنّ جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية لا تريد المساس بالفقه الإسلامي ولا إدماج بعضها في بعض، بل هي ترى في هذا الاختلاف الفقهي مفخرة للمسلمين؛ لأنّه دليل على خصوبة في التفكير وسعة في الأفق واستيفاء وحسن تقدير للمصالح التي أنزل الله شريعته لكفالتها وصونها.
٢ ـ لا تمدّ الجماعة يدها إلّا إلى أقرب المذاهب الإسلامية التي تعتقد العقائد الصحيحة للإسلام والتي يجب الإيمان بها.
٣ ـ الآراء والأفكار التي لا صلة لها بالعقائد الصحيحة لا تؤدّي ولا تدفع إلى التقاطع والتناحر، وإنّما يعذر بعضنا البعض فيما اختلفنا فيه.
٤ ـ العمل على تبصير المسلمين بدينهم، وقطع أسباب الخلاف والتفريق بينهم.
٥ ـ بيان ما هو عقيدة يجب الإيمان بها، وما هو معارف لا يضرّ الخلاف فيها، وأنّ من بين هذه المعارف ما يظنّ أنّه من العقائد وهو ليس منها عند التحقيق.
والغرض من جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية أن تكون مركزاً إسلامياً لهذه الفكرة، تتمركز فيه جهود جميع المعنيّين بها في أنحاء العالم، وتتبادل بحوثهم وأفكارهم وعلومهم في رفق وحسن تقبّل، فيتهيّأ لها جوّ من البحث العلمي الخالص على ضوء القواعد الإسلامية الصحيحة، وحينئذٍ تتجلّى أمام المسلمين أسباب الخلاف فيما وراء العقائد الدينية والأحكام التشريعية، فيعالجونها ويصلون في المسائل أو النظريات الخلافية نفسها إلى الرأي الصحيح الذي يهدي إليه العقل والدليل، فإذا جاء ـ بعد ذلك ـ ما لم تجتمع عليه القلوب أو تقطع به الأدلّة كان أمره ـ بعد ذلك ـ هيّناً لا ينبغي أن يقضي إلى التقاطع والتناكر والتقاذف، وإنّما هو خلاف في الفروع تبعاً لاختلاف الأفهام ومعرفة الأدلّة، وبذلك يتبادلون الاحترام والمودّة والتعارف والتعاون كما هو شأن المؤمنين المخلصين.
ولمّا كان الشيخ شلتوت يتطلّع إلى تحقيق الوحدة الإسلامية كما تطلّع ويتطلّع إليها غيره؛ لأنّه أدرك الخسارة الفادحة التي لحقت بالمسلمين من جرّاء الفرقة والتنازع والاقتتال الذي أدّى إلى ضعفهم وتكالب الأمم الغربية المستعمرة عليهم، وقد مزّقتهم العصبيات والفروق المذهبية والخلافات الطائفية، قيّد اجتهاده في جماعة التقريب بين طائفتي أهل السنّة
←

. . . .

← والشيعة، وظلّ مع زملائه في الفكرة يقوم بواجبه نحو التوفيق والتقريب، ولإيمانه بالفكرة اقترح في إحدى جلسات الدار أن يعتبر السنّة والشيعة المشتركون في الجماعة مذاهب إسلامية لا طوائف أو فرق. وهو الذي كتب المقدّمة العلمية المعروفة لتفسير «مجمع البيان»، كما كان يكتب تفسيره للقرآن الكريم في مجلّة دار التقريب، وهي «رسالة الإسلام»، وكان في هذا الوقت وكيلاً للأزهر، وفي أثناء تولّيه شيخاً للأزهر الشريف أصدر فتواه الشهيرة بشأن المذاهب الإسلامية، وهي جواز اتّباع مذهب الإمامية الجعفريّة أو الزيديّة مقرّراً أنّها ليست فتوى رجل واحد، وإنّما شي فتوى كلّ أولئك الرجال الذين حملوا أمانة التقريب.

ونستطيع تلمّس دعوته للتقريب ونبذه للعصبية المذهبية وحبّه للوحدة بين المسلمين في قوله: «إنّ المتّقي لله في مقام ابتغاء العلم هو ذلك الذي لا تأخذه عصبية، ولا تسيطر عليه مذهبية، ولا ينظر يميناً أو شمالاً دون قصده. كنت أودّ لو أستطيع أن أصوّر بنفسي فكرة الحرّيّة المذهبية الصحيحة المستقيمة على نهج الإسلام والتي كان عليها الأئمّة الأعلام في تاريخنا الفقهي، أولئك الذين كانوا يترفّعون عن العصبية الضيّقة، ويربئون بدين الله وشريعته عن الجمود والخمول، فلا يزعم أحدهم أنّه أتى بالحقّ الذي لا مريّة فيه، وأنّ على سائر الناس أن يتّبعوه، ولكن يقول: هذا مذهبي وما وصل إليه جهدي وعلمي، ولست أبيح لأحد تقليدي واتّباعي دون أن ينظر ويعلم من أين قلت ما قلت، فإنّ الدليل إذا استقام فهو عمدتي، والحديث إذا صحّ فهو مذهبي».

ثمّ يقول مصوّراً جمال الوحدة بين المسلمين وكمالها: «كنت أودّ لو أستطيع أن أتحدّث عن الاجتماعات في دار التقريب، حيث يجلس المصري إلى الإيراني أو اللبناني أو العراقي أو الباكستاني أو غير هؤلاء من مختلف الشعوب الإسلامية، وحيث يجلس الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي بجانب الإمامي والزيدي حول مائدة واحدة تدوّي أصوات فيها آداب وعلم وفيها تصوّف وفقه وفيها مع كلّ ذلك روح الأخوّة وذوق المودّة والمحبّة وزمالة التعليم والعرفان».

ثمّ هو يبيّن لنا الأسباب التي دعت إلى الفرقة والعصبية، ويرشدنا إلى كيفية الخروج منّا والعمل على إزالتها ليتوحّد الصفّ الإسلامي، فيقول: «لقد كان أكثر الكاتبين عن الفرق الإسلامية متأثّراً بروح التعصّب الممقوت، فكانت كتاباتهم ممّا تورّث نيران العداوة ←

تأسّست جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية في مصر بمدينة القاهرة سنة ١٣٦٠ هـ/١٩٤٨ م، وذلك بهدف التقريب بين المذاهب الإسلامية، ومؤسّسوها هم: العلّامة محمّد تقي القمّي، الشيخ محمود شلتوت، الشيخ محمّد مصطفىٰ المراغي، الشيخ مصطفىٰ عبد الرزّاق، الشيخ عبد المجيد سليم.

← والبغضاء بين أبناء الملّة الواحدة، وكان كلّ كاتب لا ينظر إلى من خلفه إلّا من زاوية واحدة، وهي تسخيف رأيه وتسفيه عقيدته بأسلوب لا يليق بالمسلم، وشرّه أكثر من نفعه».

ثمّ يقول عن الوحدة وأنّها مطلب أساسي للجماعة المسلمة: «إنّ الله سبحانه طلب من الأُمّة الإسلامية أن تتوحّد كلمتها، فلا تكون شيعاً وأحزاباً يضرب بعضهم رقاب بعض، وقد استغلّ المستعمرون أسباب الفرقة بين المسلمين أسوا استغلال، ورغم أنّ المصلحين من المسلمين تنبّهوا إلى الأضرار التي تحيق بدينهم وبلادهم من جرّاء هذه الفرقة، فنادوا بوجوب وحدة الصفّ الإسلامي والتخلّي عن أسباب النفرة بين أبناء الملّة الواحدة والعقيدة الواحدة، وليست الدعوة إلى تقريب المذاهب الإسلامية دعوة إلى لقاء أو غلبة مذهب على حساب مذهب آخر، ولكنّها دعوة إلى تنقية المذاهب من الشوائب التي آثارتها العصبيات والنفرات الطائفية وأذكتها العقلية الشعوبية، ولقد فهم المسلمون الأوّلون حقيقة هذا الدين الحنيف، واختلفوا في فهم نصّ من كتاب الله أو سنّة رسوله ﷺ، ولكنّهم ـ مع هذا الخلاف ـ كانوا يداً واحدةً على من عداهم.

ثمّ خلف من بعدهم خلف جعلوا دينهم تبعاً لأهوائهم، فتفرّقت الأُمّة إلى شيع وأحزاب ومذاهب وعصبيات، واستباح بعضهم دماء بعض، وطمع فيهم الأعداء ومن لا يستطيع أن يدفع عن نفسه أذى، وذهبت ريحهم وضعفت كلمتهم، ولقى الإسلام على يد هؤلاء وأُولئك ما لقى من نكبات ومصائب، ولولا قوّة تعاليمه وصفاء جوهره ومنبعه وسلامة وطهارة عقيدته واستقامتها مع الفطرة الإنسانية لحرمت الإنسانية من مزاياه وفضائله».

بهذه الكلمات الرائعة وضّح الشيخ شلتوت للأُمّة الإسلامية المنهج الذي يجب أن تستقيم عليه، وإنّها لكلمات جديرة بالدراسة والفهم والاهتمام، لعلّ المسلمين اليوم يدركون أسباب ما حاق بهم من خلاف ونزاع أدّى إلى التناحر والتقاتل بالسلاح بين المسلم وأخيه المسلم في هذه السنوات العصيبة، والحقّ أنّ الشيخ شلتوت وجّه الأُمّة الإسلامية إلى ما فيه خيرها وعزّها بالرجوع مباشرة إلى كتاب الله ومنهجه المستقيم وسنّة رسوله ﷺ.

(الإمامان البروجردي وشلتوت رائدا التقريب: ١٥٥ ـ ١٥٩).

ثمّ توقّفت هذه الجماعة، وتأسّست جمعية أُخرىٰ في إيران للهدف نفسه، باسم: «مجمع التقريب العالمي بين المذاهب الإسلامية»، وقد قدّمت هذه الجمعية حتّىٰ الآن الكثير من الخدمات في مجال تقريب واتّحاد المذاهب الإسلامية.

والعلّامة الشيخ شلتوت يمدح مثل هذه التجمّعات، ويقول بهذا الخصوص:

«هذه الحركة ـ تشكيل دار التقريب ـ التي قامت علىٰ أساس فكرة جمع مختلف المذاهب الإسلامية، لم يمر وقت طويل عليها حتّىٰ صارت من الحقائق المتينة والعلمية في العالم الإسلامي وفي تاريخ الفكر الإسلامي، وألقت كذلك بظلالها علىٰ روح دعوة الإصلاح والمودّة والأُخوّة بين المسلمين.

وبلا شكّ فإنّ هذا الأمر كان بقصد نيل العفو والرحمة، في كلام الباري تعالىٰ؛ إذ قال: ﴿**إنّما المؤمنونَ إخوةٌ فأصْلِحوا بينَ أخَوَيْكم واتّقوا الله لعلّكم تُرحمون**﴾ (١)»(٢).

والشيخ شلتوت يرىٰ أنّ الأجواء في دار التقريب هي أجواء الأُخوّة والمحبّة(*)، فهو يقول:

---

(١) سورة الحجرات ٤٩: ١٠.

(٢) الناس والدين: ٩.

(*) لا تعدوالحقيقة إذا قلنا: إنّ الشيخ شلتوت قطع بفكرة التقريب أشواطاً لم يقطعها غيره، وحقّق إنجازات لم يقم بها أحد سواه، ليس فقط في مجال الكتابة في الفقه المقارن، بل وهذا هو الأهمّ في مجال التنظير الاعتقادي والتنظيم المؤسّسي، حتّى صدر كتاب يهاجمه في ذلك تحت عنوان: «تنبيه العوام لانحراف الشيخ شلتوت عن الإسلام»!

ولم يكن الشيخ ممّن يعبأ بالهجوم، ولا يعني نفسه بالردّ، وإنّما يسير في طريقه، ويمكننا تلخيص إنجازات الشيخ محمود شلتوت في مجال التقريب بين المذاهب فيما يلي:

أ ـ اهتمامه منذ عام ١٩٣٦ بالمقارنة بين المذاهب، واتّسعت المقارنة عنده لتشمل مذاهب

←

. . . .

→ الشيعة، والفقه المقارن كما يقول الشيخ محمّد محمّد المدني ـ أحد فرسان التقريب والساعد الأيمن للشيخ شلتوت ـ هو الفقه على الحقيقة، وهو صناعة الفقيه على الحقيقة، أمّا الحافظ للفروع الذي لا يعرف إلّا سرد الأحكام فما هذا بفقيه، ومن لم توجد عنده ملكة العلم بالأحكام الشرعية من أدلّتها التفصيلية لا يعدّ فقيهاً ولو حفظ أحكام الفروع، ومن وجدت عنده الملكة ـ ولو في بعض المسائل ـ فهو الفقيه، وقد سئل الإمام مالك عن أربعين مسألة، فأجاب عن أربع منها، وقال في ستّ وثلاثين: لا أدري! ولم يمنعه ذلك من أن يكون فقيهاً؛ لأنّ ملكة الفقه وجدت عنده.

ثمّ إنّ هذه الدراسة على هذا النهج قائمة على أيدي العلماء في كلّ عصر، وكتب المذاهب عامرة بها، وكتب الحديث والتفسير والأُصول والأمّهات لا تكاد تخلو منها صفحة من صفحاتها، وكم رجّح المالكي قولاً للشافعي، ورجّح الحنفي قولاً لغير أبي حنيفة، وأصحاب أبي حنيفة وتلاميذه ومن ينتسبون إليه كثيراً ما يقرّرون غير ما قرّره الإمام؛ لضعف مأخذه عندهم، أو لانكشاف دليل لهم لم ينكشف له، وكذلك أصحاب الأئمّة وأتباع المذاهب.

ولا شكّ أنّ هذا منهج مستقيم من الناحية العلمية الفقهية ومن الناحية الإسلامية..

فأمّا استقامته من الناحية الفقهية فلأنّ الفقيه المنصف الذي لا هدف له إلّا البحث عن الحقّ لا يسعه أن يغضّ الطرف عن قول قاله مجتهد في المسألة التي يبحثها مادام لا يصادم نصّاً قطعياً من كتاب أو سنّة، ولا يسعه أن يعرض عن دليله؛ فقد يكون هذا الدليل سليماً، ولو أنّ فقيهاً باحثاً ارتضى لنفسه أن يغضّ النظر عن قول غيره ودليل غيره لكان من الذين قال الله فيهم: ﴿أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ [سورة هود ١١: ٥]، ولا شكّ أنّ منهجه حينئذٍ لا يكون إلّا منهجاً فاسداً غير معتدّ به من العلماء.

وأمّا استقامة هذا المنهج من الناحية الإسلامية، فلأنّ المسلمين أُمّة واحدة لا ينبغي التفريق بينهم، بل ينبغي أن ينظر كلّ فريق منهم إلى الفريق الآخر على أنّهم جميعاً أُخوة متعاونون على معرفة الحقّ والعمل به، ولا يستقيم ذلك إلّا إذا كان أهل القبلة جميعاً وأهل الدين الواحد الأُصول المشتركة أحراراً في الإدلاء بآرائهم مادامت في الدائرة الإسلامية.

وقد أسفر هذا الاتّجاه بعد تأسيس لجنة التقريب بين المذاهب إلى ما أُطلق عليه: مشروع شلتوت ـ القمّي، والذي استهدف جمع الأحاديث النبويّة ومراجعة السنّة المطهّرة، والتي اتّفق عليها علماء الشيعة والسنّة؛ لتكون مصدراً لأبناء الإسلام على اختلاف مذاهبهم ←

. . . .

→ الكلامية والفقهية، وهو مشروع لم يقدّر له أن يكتمل. ولعلّ ما قدّمه العلّامة اليمني علي بن إسماعيل الصنعاني في كتابه «رأب الصدع»، والذي صدر في ثلاثة مجلّدات شرحاً وتخريجاً وتحقيقاً لأمالي الإمام أحمد بن عيسى، لعلّ هذا الكتاب يكون إحياءً جزئياً لمشروع شلتوت ـ القمّي، خاصّة وأنّ صاحب الكتاب كان العضو الزيدي في دار التقريب بين المذاهب.

ب ـ فتواه بجواز التعبّد بمذهب الشيعة الإمامية، وهي فتوى كان لها صداها في العالم الإسلامي، وقد كتب إليه بعدها الشيخ أحمد عارف الزين صاحب مجلّة «العرفان» قائلاً: «فأنا باسم علماء الشيعة جميعاً في لبنان وسوريا والعراق وإيران أمدّ يدي مصافحاً، وأفتح قلبي وصدري داعياً ومؤيّداً، وأعدكم أن أعمل في مجلّتي وبنفوذي الديني والدنيوي للوصول بكافّة الطرق إلى ما تصبو إليه نفسك ونفسنا من العودة بالمسلمين جميعاً إلى جوهر الدين وتعاليمه السامية، إلى كتاب الله وسنّة رسوله، لا فرق بين سنّي وشيعي».

فردّ على رسالته الشيخ شلتوت قائلاً: «إنّ المسلمين ـ يا أخي ـ قد استناموا في كثير من حقب تاريخهم إلى سوء حالهم الناجم عن فرقتهم وتقطيع الروابط بينهم والاستجابة إلى نداء عدوّهم الماكر المتربّص بهم، وقد طال عليهم الأمد في ذلك حتّى ضعفوا واستكانوا وظنّوا أنّهم قد أُحيط بهم، لولا أن قيّض الله لأُمّة الإسلام في كلّ شعب قادة مصلحين ودعاة راشدين.. فكانوا يبصّرونهم بعاقبة أمرهم، ويدعونهم إلى إصلاح ذات بينهم وإلى الوقوف صفّاً واحداً أمام أعدائهم المهاجمين لبلادهم وثقافتهم ودينهم، وشاء الله أن تنبعث فيهم جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية، تلك الجماعة التي عرفت كيف تشخّص داء المسلمين، وكيف تصف لهم الدواء، فكنت ـ والحمد لله ـ من مؤسّسيها الأوّلين، ووجّهت معها نداءها الأعظم المستمدّ من كتاب ربّ العالمين: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء ٢١: ٩٢]، فاستمع إليه الشيعي والسنّي، واستجاب له العربي والعجمي، وتبادل العلماء في كلّ شعب رسائل العلم ورسائل الدين، يبحثونها في ظلّ الأُخوّة الإسلامية التي أثبتها الله في كتابه للمؤمنين، لا يهدفون إلّا إلى الحقّ، ولا يريدون إلّا الوصول إلى حكم الله الذي هم به جميعاً مؤمنون، لم يعد يقام للعصبية وزن، ولا يحسب للشقاق المذهبي حساب».

لقد كان التقريب بين المذاهب على منهج واضح هو محور فقه الشيخ وعمله، وهو ما عبّره ←

«وهناك في دار التقريب يجلس المصري بجانب الإيراني واللبناني والعراقي والباكستاني، وهناك يلتقي الشافعي والحنبلي بالشيعي والزيدي علىٰ مائدة واحدة، يختلط رنين أصوات بعضهم ببعض، وهناك تطرح مباحث العلم والأخلاق والتصوّف والفقه، وغيرها من المباحث، إضافة إلىٰ أنّ روح الأُخوّة والتراحم والمحبّة وكشف الحقيقة والحصول عليها، كانت سائدة ومهيمنة علىٰ كلّ الأجواء في ذلك المكان(١).

وقد كتب الشيخ محمّد تقي القمّي أحد مؤسّسي دار التقريب عن الدور الفريد للشيخ شلتوت، قائلاً:

«كان الأُستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت واحداً من كبار العلماء وأُستاذاً في جامعة الأزهر، في تلك الأيّام التي شاركنا فيها في تأسيس وإيجاد جماعة التقريب. وكان دائماً يخطو مع زملائه وحاملي فكره ويتقدّم خطوات في اتّجاه

← الشيخ محمود شلتوت بعباراته البليغة: «لقد آمنت بفكرة التقريب كمنهج قويم، وأسهمت منذ أوّل يوم في جماعتها وفي وجوه نشاط دارها في أُمور كثيرة، ولقد تهيّأ لي بهذه الأوجه من النشاط العلمي أن أطلّ على العالم الإسلامي من نافذة مشرقة عالية، وأن أعرف كثيراً من الحقائق التي كانت تحول بين المسلمين واجتماع الكلمة وائتلاف القلوب على أُخوّة الإسلام، وأن أتعرّف إلى كثير من ذوي الفكر والعلم في العالم الإسلامي. ثمّ تهيّأ لي بعد ذلك ـ وقد عهد إليّ بمنصب مشيخة الأزهر ـ أن أصدر فتوى في جواز التعبّد على المذاهب الإسلامية الثابتة الأُصول المعروفة المصادر والمتّبعة لسبيل المؤمنين، ومنها مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشريّة، وهي تلك الفتوى المسجّلة بتوقيعنا في دار التقريب، والتي كان لها ذلك الصدى البعيد في مختلف بلاد الأُمّة الإسلامية، وقرّت بها عيون المؤمنين المخلصين الذين لا هدف لهم إلّا الحقّ والأُلفة ومصلحة الأُمّة».

ولم يكن الشيخ شلتوت يوم إصداره الفتوى إلّا معلناً عمّا كان يمارسه منذ مارس الإفتاء. (الإمامان البروجردي وشلتوت رائدا التقريب: ٢٣٤ ـ ٢٣٦).

(١) الناس والدين: ١٦.

التقريب.

وفي أحد الاجتماعات اقترح تسمية الفرقة أو الطائفة باسم المذاهب الإسلاميّة؛ إذ السنّة والشيعة شركاء في مجتمع واحد. وفي الوقت الذي كان يعمل فيه معاوناً لرئيس جامعة الأزهر كان مستمرّاً في عمله في دار التقريب»[١].

ويقول الشيخ القمّي في موضع آخر بخصوص خدمات وعمل الشيخ شلتوت في دار التقريب:

«كان الشيخ محمود شلتوت عضواً في دار التقريب لمدّة ١٧ سنة، وقد أصبح رئيساً للأزهر الشريف في السنوات الخمس الأخيرة من عمره، وكان دوماً ـ بعد رئاسته للأزهر وقبلها ـ مجاهداً بلا كلل ولا ملل من أجل التقريب بين الشيعة والسنّة»[٢].

وقد كتب الشيخ شلتوت مقالة بيّن فيها بشكل مبسوط نبذة عن تاريخ جمعية التقريب، ولأهمّية المباحث التي وردت في تلك المقالة، نلفت نظركم إلىٰ نصّها:

«إنّه ليحقّ للمسلمين أن يفخروا بأنّهم كانوا أسبق من غيرهم تفكيراً وعملاً في تقريب مذاهبهم وجمع كلمتهم..

أحسنت دار التقريب صنعاً؛ إذ فكّرت في إصدار كتاب نسجّل فيه قصّة هذه الفكرة الإسلامية، ونذكر أطوارها وتاريخها، وما صادفها من تأييد المؤيّدين، أو معارضة المعارضين، حتىٰ أصبحت من الحقائق العلمية الثابتة في تاريخ الفكر

(١) اتّحاد المذاهب الإسلاميّة: ٦٩.

(٢) روزنامه جمهوري إسلامي (صحيفة الجمهوريّة الإسلاميّة) / (١٩ / ١٠ / ١٣٧٩ هـ ش) / العدد الخاصّ / صفحة: ٩.

الإسلامي، وسرىٰ بها روح من الإصلاح والمحبّة والأُخوّة بين المؤمنين، تحقيقاً لقول الله (جلّ شأنه): ﴿**إنّما المؤمنونَ إخوةٌ فأصْلِحوا بين أخَوَيْكم واتّقوا الله لعلّكم تُرحمون**﴾ (١).

ولقد كنت أودّ لو أستطيع أن أكتب هذه القصّة بنفسي لأُسجّل فيها ألواناً من المشاعر والأفكار التي مرّت بي في فترات مختلفة من العصر الذي عشته في جوّها، والذي عاصرت فيه إخوة أعزّاء، أحببتهم وأحبّوني في الله، وناظرتهم وناظروني بحثاً عن الحقيقة، والتماساً لآفاق من العلم الديني من واجب المؤمنين أن يلتمسوها، وأن يرودوا(٢) لأهليهم أوديتها.

كنت أودّ لو أستطيع ذلك بنفسي لأُسجّل لمحات كنت ألمحها في فكرة تعرض، أورأي ينفذ، أواجتماع يعقد، أو بحث ينشر، أو رسالة ترد، أو وفد يفد.. فإنّ دعوة التقريب هي دعوة التوحيد والوحدة، وهي دعوة الإسلام والسلام، وإنّ أُسلوبها الذي تنتهجه لهو الأُسلوب الحكيم الذي أمر الله به رسوله الكريم، إذ يقول: ﴿**ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ**﴾ (٣).

وإذا اتّجهت العقول إلىٰ البحث في إخلاص وتضامن، لا همّ لها إلّا ابتغاء الحقّ، لمعت أمامها الأضواء، وسرت إليها أشعّة الهداية الربّانية، وكان لها قبسات، وكان لها لمحات، وإنّي لأُرجّح أنّ قوله تعالىٰ: ﴿**وَٱتَّقُوا ٱللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللهُ**﴾ (٤)

---

(١) سورة الحجرات ٤٩: ١٠.
(٢) الرائد: الذي يُرسل في طلب الكلأ. (صحاح اللغة ٢: ٤٧٨).
(٣) سورة النحل ١٦: ١٢٥.
(٤) سورة البقرة ٢: ٢٨٢.

يشمل الأمر بالتجرّد عن كلّ هوىً من شأنه أن يخلّ بتقوىٰ الله حين يتّجه المرء إلىٰ محراب العلم ملتمساً أن يفيض الله عليه من نفحاته.

إنّ المتّقي لله في مقام ابتغاء العلم هـو ذلك الذي لا تأخـذه عـصبية، ولا تسيطر عليه مذهبية، ولا ينظر يميناً أو شمالاً دون قصده.

كنت أودّ لو أستطيع ذلك بنفسي لأُصوّر ثفكرةالحرّيّة المذهبية الصـحيحة المستقيمة علىٰ نهج الإسلام، والتي كان عليها الأئمّة الأعلام في تاريخنا الفقهي، أُولئك الذين كانوا يترفّعون عن العصبية الضيّقة، ويربأوون [١] بدين الله وشريعته عن الجمود والخمول، فلا يزعم أحدهم أنّه أتىٰ بالحقّ الذي لا مرية فيه [٢]، وأنّ علىٰ سائر الناس أن يتبعوه، ولكن يقول: «هذا مذهبي وما وصل إليـه جـهدي وعلمي، ولست أُبيح لأحد تقليدي واتّباعي دون أن ينظر ويعلم من أين قلت ما قلت، فإنّ الدليل إذا استقام فهو مأخذي، والحديث إذا صحّ فهو مذهبي».

وكنت أودّ لو كتب قصّة التقريب أحد غير أخي الإمام المصلح محمّـد تقي القمّي؛ ليستطيع أن يتحدّث عن ذلك العالم المجاهد الذي لا يتحدّث عن نفسه، ولا عمّا لاقاه في سبيل دعوته، وهو أوّل من دعا إلىٰ هذه الدعوة، وهاجر مـن أجلها إلىٰ هذا البلد بلد الأزهر الشريف.. فعاش معها وإلىٰ جوارها منذ غـرسها بذرة مرجوّة علىٰ بركة الله، وظلّ يتعهّدها بالسقي والرعاية بما آتاه الله من عبقريّة وإخلاص، وعلم غزير، وشخصية قويّة، وصبر علىٰ الغير، وثبات علىٰ صروف الدهر، حتّىٰ رآها شجرة سامقة الأُصول باسقة الفروع تؤتي أُكلها كلّ حين بإذن

---

(١) يقال: إنّي لأربأ بك عن ذلك الأمر، أي: أرفعك عنه ولا أرضـاه لك. (تـاج العـروس ١: ٢٣٧).

(٢) أي: لا شكّ فيه. (تهذيب اللغة ١٥: ٢٠٤).

ربّها، ويستظلّ بظلّها أئمّة وعلماء ومفكّرون في هذا البلد وفي غيره، ولكنّي أعود فأقول: مَن هو أدرىٰ بالدعوة وظروفها من داعيها الأوّل؟

لقد آمنت بفكرة التقريب كمنهج قويم، وأسهمت منذ أوّل يوم في جماعتها، وفي وجوه نشاط دارها بأُمور كثيرة، كان منها تلك الفصول المتتابعة في تفسير القرآن الكريم التي ظلّت تنشرها مجلّتها «رسالة الإسلام» قرابة أربعة عشر عاماً، حتّىٰ اكتملت كتاباً سوياً أعتقد أنّه تضمّن أعزّ أفكاري، وأخلد آثاري، وأعظم ما أرجو به ثواب ربّي، فإنّ خير ما يحتسبه المؤمن عند الله هو ما ينفقه من الجهد الخالص في خدمة كتاب الله.

ولقد تهيّأ لي بهذه الأوجه من النشاط العلمي أن أطلّ علىٰ العالم الإسلامي من نافذة مشرفة عالية، وأن أعرف كثيراً من الحقائق التي كانت تحول بين المسلمين واجتماع الكلمة وائتلاف القلوب علىٰ أُخوّة الإسلام، وأن أتعرّف إلىٰ كثير من ذوي الفكر والعلم في العالم الإسلامي، ثمّ تهيّأ لي بعد ذلك ـ وقد عهد إلَيّ بمنصب مشيخة الأزهر ـ أن أصدرت فتواي في جواز التعبّد علىٰ المذاهب الإسلامية الثابتة الأُصول، المعروفة المصادر، المتّبعة لسبيل المؤمنين، ومنها مذهب الشيعة الإمامية «الاثنا عشريّة»، وهي تلك الفتوىٰ المسجّلة بتوقيعنا في دار التقريب، التي وزّعت صورتها الزنكغرافية بمعرفتنا، والتي كان لها ذلك الصدىٰ البعيد في مختلف بلاد الأُمّة الإسلامية، وقرّت بها عيون المؤمنين المخلصين الذي لا هدف لهم إلّا الحقّ والأُلفة ومصلحة الأُمّة، وظلّت تتوارد علَيّ الأسئلة والمشاورات والمجادلات في شأنها، وأنا مؤمن بصحّتها، ثابت علىٰ فكرتها، أُؤيّدها في الحين بعد الحين، فيما أبعث به من رسائل للمستوضحين، أو أردّ به علىٰ شُبَه المعترضين، وفيما أُنشئ من مقال يُنشر، أو حديث يُذاع، أو بيان

أدعو به إلىٰ الوحدة والتماسك والالتفاف حول أُصول الإسلام ونسيان الضغائن والأحقاد، حتّىٰ أصبحتْ والحمد لله حقيقة مقرّرة، تجري بين المسلمين مجرىٰ القضايا المسلّمة بعد أن كان المرجفون في مختلف عهود الضعف الفكري والخلاف الطائفي والخلاف والنزاع السياسي يثيرون في موضوعها الشكوك والأوهام بالباطل.

وها هو ذا الأزهر الشريف ينزل علىٰ حكم هذا المبدأ، مبدأ التقريب بين أرباب المذاهب المختلفة، فيقرّر دراسة فقه المذاهب الإسلامية، سنّيها وشيعيها، دراسة تعتمد علىٰ الدليل والبرهان، وتخلو من التعصّب لفلان وفلان، كما أنّه يعتزم في تكوين مجمع البحوث الإسلامية أن يكون أعضاؤه ممثّلين لمختلف المذاهب الإسلامية.

وبهذا تكون الفكرة التي آمّنا بها وعملنا جاهدين في سبيلها قد تركّزت الآن وأصبحت رسالة الدار محلّ التقدير والتنفيذ.

وكنت أودّ لو أستطيع أن أتحدّث عن الاجتماعات في دار التقريب، حيث يجلس المصري إلىٰ الإيراني، أو اللبناني أو العراقي أو الباكستاني، أو غير هؤلاء من مختلف الشعوب الإسلامية، وحيث يجلس الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي بجانب الإمامي والزيدي حول مائدة واحدة تدوّي أصوات فيها علم، وفيها أدب، وفيها تصوّف، وفيها فقه، وفيها ـ مع ذلك كلّه ـ روح الأُخوّة، وذوق المودّة والمحبّة، وزمالة التعليم والعرفان.

وكنت أودّ لو أستطيع أن أُبرز صورة كصورة الرجل السمح الذكيّ القلب العفّ اللسان رجل العلم والخلق المغفور له الأُستاذ الأكبر الشيخ مصطفىٰ عبد الرزّاق، أو صورة كصورة الرجل المؤمن القويّ الضليع في مختلف علوم

الإسلام المحيط بمذاهب الفقه أُصولاً وفروعاً الذي كان يمثّل الطود الشامخ في ثباته، والذي أفاد منه التقريب في فترة ترسيخ مبادئه أكبر الفائدة المغفور له أُستاذنا الأكبر الشيخ عبدالمجيد سليم (رضي الله عنه وأرضاه)، أو صورة كصورة ذلك الرجل الذي حنكته التجارب واحتضنته محافل العلم والرأي المغفور له الأُستاذ محمّد علي علويّة (جزاه الله عن جهاده وسعيه خير الجزاء).

ولعلّي أيضاً كنت أستطيع أن أتحدّث عن صور لكثيرين ممّن وهبوا أنفسهم لهذه الدعوة الإسلامية، ووقفوا عليها جهودهم وآمنوا بالتقريب سبيلاً إلىٰ دعم قوّة المسلمين وإبراز محاسن الإسلام، وغير هؤلاء كثيرون ممّن سبقونا إلىٰ لقاء الله من أئمّة الفكر في شتّىٰ البلاد الإسلامية الذين انضمّوا إلىٰ التقريب، وبذلوا جهودهم لنشر مبادئه، وساجلناهم[١] علماً بعلم، ورأياً برأي، وتبادلنا وإيّاهم كثيراً من الرسائل والمشروعات والمقترحات، وفي مقدّمتهم المغفور له الإمام الأكبر الحاجّ السيّد حسين البروجردي (أحسن الله في الجنة مثواه)، أو المغفور لهما الإمامين: الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء، والسيّد عبدالحسين شرف الدين الموسوي (رضي الله عنهما).

لقد تلقّىٰ أُولئك الأعلام دعوة التقريب في أوّل نشأتها، ففتحوا لها قلوبهم وعقولهم، وأصفوها أكرم جهودهم، حتّىٰ ذهبوا إلىٰ ربّهم راضين مرضيّين، وإنّ لهم لتاريخاً يُذكر، وفضلاً يجب أن يُسجّل ويُؤثر، وغير هؤلاء كثير، ولسنا بصدد العدّ والإحصاء.

ولقد ذهب هؤلاء إلىٰ ربّهم راضين مرضيّين، وإنّ لنا لإخوة آمنوا بالفكرة، ولا يزالون يعملون في سبيل دعمها، وهم أئمّة الإسلام وأعلام الفكر في شتّىٰ

(١) المساجلة: المغالبة. (العين ٦: ٥٤).

الأقطار الإسلامية، أطال الله أعمارهم، وسدّد في سبيل الحقّ خطاهم: ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ (١).

وإذا كان هذا جانباً من جوانب التأييد والتلاقي حول فكرة التقريب، فإنّ جانباً آخر من الحرب والمعارضة قابل هذه الدعوة، وحاول أن يصدّ عنها، شأن كلّ دعوة إصلاحية حين يتصدّىٰ لها الذين لم يألفوها، فلقيت بذلك دعوة التقريب نصيباً كبيراً من المعارضة لها، والهجوم عليها بقدر أهمّيتها وعِظم هدفها، وكان هذا النصيب متعدّد الأشكال والأنواع.

كان الجوّ السائد عند بدء الدعوة مليئاً بالطعون والتهم، مشحوناً بالافتراءات وأسباب القطيعة وسوء الظنّ من كلّ فريق بالآخر، حتّىٰ عدّ تكوين الجماعة بأعضائها من المذاهب المختلفة السنّية الأربعة والإماميّة والزيديّة نصراً مبيناً أهاج نفوس الحاقدين، وهوجمت الدعوة لا من فريق واحد بل من المتعصّبين أو المتزمّتين من كلا الفريقين، السنّي الذي يرىٰ أنّ التقريب يريد أن يجعل من السنّيّين شيعة، والشيعي الذي يرىٰ أنّنا نريد أن نجعل منهم سنّيّين، هؤلاء وغيرهم أساؤوا فهم رسالة التقريب فقالوا: إنّها تريد إلغاء المذاهب، أوإدماج بعضها في بعض.

حارب هذه الفكرة ضيّقو الأُفق، كما حاربها صنف آخر من ذوي الأغراض الخاصّة السيّئة، ولا تخلو أيّة أُمّة من هذا الصنف من الناس، حاربها الذين يجدون في التفرّق ضماناً لبقائهم وعيشهم، وحاربها ذوو النفوس المريضة وأصحاب الأهواء والنزعات الخاصّة، هؤلاء وأُولئك ممّن يؤجرون أقلامهم

(١) سورة الأحزاب ٣٣: ٢٣.

لسياسات مفرّقة، لها أساليبها المباشرة وغير المباشرة في مقاومة أيّة حركة إصلاحية، والوقوف في سبيل كلّ عمل يضمّ شمل المسلمين ويجمع كلمتهم.

كانوا يهاجمون الفكرة كلّ علىٰ طريقته، ويسمّمون الجوّ بقدر استطاعتهم بغية القضاء علىٰ تلك الدعوة الواضحة المبادئ والأركان، القائمة علىٰ العلم والدراسة والبحث، الداعية إلىٰ فتح المجال أمام الدليل من أيّ أُفق طلع.

كنت أوّد لو أستطيع أن أُبرز هذه النواحي كلّها في قصّة التقريب، أكتبها بنفسي وأتتبّع تفاصيلها كما لابستها وعشت ظروفها، ثمّ أتتبّع مجلّة «رسالة الإسلام» التي أدّت أمانتها وأحسنت سفارتها وكانت محلاًّ لآراء العلماء من كلّ فريق، يمدّونها بالبحوث وينتظرها كلّ منهم حرصاً عليها، فتزدان بها مكتبة الشيعي، كما تزدان بها مكتبة السنّي، وينهل من معارفها الغربي كما ينهل من معارفها الشرقي، ولكن حسبي أن أكتب هذه المقدّمة مشيراً بها إلىٰ بعض جوانب هذه القصّة.

وإنّا لنحمد الله سبحانه أن أصبحت فكرة التقريب نقطة تحوّل في تاريخ الفكر الإصلاحي الإسلامي قديمه وحديثه، وأنّها أثّرت تأثيراً بعيد المدىٰ.

وإنّه ليحقّ للمسلمين أن يفخروا بأنّهم كانوا أسبق من غيرهم تفكيراً وعملاً في تقريب مذاهبهم وجمع كلمتهم، وقد نجحوا في ذلك بفضل إخلاص القائمين علىٰ أمر هذه الدعوة، وسلامة تفكير المسلمين.

وإنّا لنسأل الله تعالىٰ دوام النجاح لهذه الدعوة حتّىٰ يعود للإسلام مجده وللمسلمين عزّهم، ويتحقّق فيهم وصف الله (عزّوجلّ): ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ**﴾(١)، ﴿**قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي**

(١) سورة آل عمران ٣: ١١٠.

أَدْعُوا إِلَىٰ اللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لله وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [٢].

والسلام عليكم ورحمة الله » [٣].

(١) سورة يوسف ١٢: ١٠٨.

(٢) سورة الأنفال ٨: ٢٤.

(٣) اتّحاد المذاهب الإسلامية: ٥٧. وانظر مجلّة «رسالة الإسلام» / العددان: ٥٥ و٥٦ / السنة الرابعة عشرة، محرّم ١٣٨٤ هـ (حزيران ١٩٦٤ م)، مقالة الشيخ محمود شلتوت: «مقدّمة قصّة التقريب».

علاقاته مع علماء الشيعة

١ ـ علاقته بآية الله البروجردي

إحدى الإجراءات التي قام بها الشيخ محمود شلتوت في سبيل وحدة المسلمين هي ارتباطه المستمرّ بعلماء المذاهب الأُخرىٰ، حيث كانت لديه محبّة خاصّة لعلماء الشيعة، وخصوصاً آية الله السيّد البروجردي، وقد أفصح عن تكريمه وتقديره في أكثر من مناسبة، وكمثال على ذلك: عندما عَلِم أنّ الشيخ محمّد تقي القمّي قد نوىٰ السفر إلىٰ إيران، كتب رسالة إلىٰ آية الله البروجردي وأرسلها برفقة السيد القمّي، وهذا نصّ الرسالة ـ والتي تضمّنت إظهار محبّته لآية الله البروجردي ـ:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم

السيّد صاحب السماحة الأخ الجليل الإمام البروجردي:

سلام الله وتحيّته عليكم، أمّا بعد..

نسأل دوماً عن صحّة وسلامة السيّد الجليل والأخ الكبير، وأسأل الله تعالىٰ أن يكون مصدر بركات دائم للمسلمين ووحدة الكلمة بينهم. أطال الله في عمركم، ونصركم..

كان سفر أخي العلّامة المكرّم الأُستاذ القمّي (أيّد الله في جهاده المشكور) فرصة سانحة لكي أكتب لسماحتكم رسالة أُعبّر فيها عن تقديري لجهودكم، سائلاً العليّ القدير أن يحقّق ما تتمنّوه للمسلمين، وأن يوفّقكم لبذل الجهود والمساعي

في سبيل جمع كلمة المسلمين، والألفة بين قلوبهم، وأُبشّركم أنّ ما قدّمتم من خطوات في سبيل التقريب، وهي خطوات ـ كما نعلم ـ قطعتموها في سبيل تأييده الكامل ودعمه والعناية والاهتمام به، ستوصل إلىٰ نيل الفلاح ورضوان الله تعالىٰ.

وعموماً هناك مجموعة مختارة من رجالنا وإخواننا في الأزهر الشريف يبذلون كلّ ما بوسعهم في سبيل التقريب، ويعملون ويتعاونون معنا بإيمان صادق، ويؤدّون تكليفهم الشرعي من أجل الدين والرسالة الإنسانية الرفيعة.

وأرجو أن يعود إلينا أخونا العزيز الشيخ القمّي بسرعة؛ لنفرح بسماع خبر سلامتكم، وننتفع بآرائكم بشأن هدفنا المشترك.

وقد أوضحت الكثير من المسائل لأخينا، ورجوته أن يبلّغها لكم بالتفصيل، أسأل الله أن يجمعنا في طريق رضاه ويُحكِم وشائج قلوبنا من أجل العمل في سبيل الله، إنّه سميع الدعاء لطيف لما يشاء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رئيس الجامع الأزهر محمود شلتوت
بتاريخ ٢٤ / ذي القعدة / ١٣٧٩
الموافق ١٩ / مايس / ١٩٦٠ م»(١)

٢ ـ صلاة الجماعة بإمامة الشيخ كاشف الغطاء

الشيخ محمود شلتوت في سفره إلىٰ القدس الشريف للمشاركة في مؤتمر فلسطين الإسلامي، وبرفقة العلماء الآخرين المشاركين في هذا المؤتمر، صلّىٰ

(١) اتّحاد المذاهب الإسلامية: ٣١٦، مكتب إسلام (مدرسة الإسلام) / (خرداد، ١٣٤٠ هـ.ش) / صفحة: ٦٠.

صلاة الجماعة بإمامة آية الله الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء، وهو يصف ذلك المشهد الذي كان يقف فيه الشيعي إلىٰ جنب السُنّي صفّاً واحداً للصلاة، بهذا الشكل:

«كم هو جميل مظهر المسلمين، حين اجتمع ممثّلوهم في مؤتمر فلسطين الإسلامي في المسجد الأقصىٰ، وصلّوا صلاتهم جماعة بإمامة أحد كبار مجتهدي الشيعة الإمامية، فضيلة الأُستاذ الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء، بدون أن يكون هناك أيّ فرق بين مَن يرىٰ نفسه سُنّياً، ومَن يرىٰ نفسه شيعياً، وشكّلوا كلّهم صفوفاً موحّدة خلف إمام واحد، ليعبدوا إلٰهاً واحداً، متّجهين إلىٰ قبلة واحدة»(١).

الفتوىٰ التاريخية

إنّ أهمّ ما قام به الشيخ شلتوت من عمل طيلة حياته هو إصداره الفتوىٰ بجواز التعبّد واتّباع فقه المذاهب المعتبرة، كالشيعة، وقد خطىٰ بهذا العمل خطوة مهمّة جدّاً في سبيل تقريب مذاهب السُنّة والشيعة.

خلفية الفتوىٰ

عندما كان الشيخ عبد المجيد سليم متولّياً رئاسة جامعة الأزهر، قرّر أن يصدر فتوىٰ بجواز اتّباع مذهب أهل البيت عليهم السلام، وحينما أراد أن يضع قراره هذا موضع التنفيذ، صدر كتاب يشتمل علىٰ إهانة وتحقير مقدّسات أهل السُنّة، ووزّع علىٰ أعضاء دار التقريب.

(١) الشيخ محمود شلتوت (رائد التقريب): ٤١.

نُسب هذا الكتاب إلىٰ أحد علماء الشيعة، وكان بدون تاريخ وبدون ذكر لمكان واسم المطبعة، ووضع تحت يد الأعضاء، وأثار موجة من الإزعاج والقلق وسوء الظنّ تجاه مذهب الشيعة، وبلا شكّ أنّ يد الاستعمار كانت وراء هذا الأمر..

ولم يتمكّن الشيخ عبد المجيد سليم ـ والذي وجد نفسه في مواجهة هذه المؤامرة المعدّة سلفاً ـ من إصدار هذه الفتوىٰ، في ظلّ ذلك الوضع المتأزّم والحقد والعداء الذي ظهر تجاه الشيعة آنذاك، لذا انصرف عنها، وبقي في انتظار أجواء مناسبة وفرصة أُخرىٰ لإصدارها، لكن يد المنون لم تمهله، وحرمته تلك الفرصة. وبعد سنوات أصدر تلميذه الشيخ محمود شلتوت هذه الفتوىٰ.

ولعلّ القدر هو الذي وفّر للشيخ شلتوت إصدار هذه الفتوىٰ، واشتهر اسمه في العالم الإسلامي.

تتضمّن فتوىٰ الشيخ شلتوت ثلاثة عناصر أساسية:

١ ـ لا يلزم أيّ مسلم أن يكون تابعاً لأحد المذاهب الفقهية الأربعة لأهل السنّة، بل لكل مسلم الحقّ في انتخاب أيّ مذهب من المذاهب الفقهية.

٢ ـ يجوز الانتقال من أحد المذاهب الفقهية إلىٰ مذهب فقهي آخر.

٣ ـ يستطيع أيّ مسلم ـ حتّىٰ إذا كان سنّياً ـ أن يعمل وفق فقه الشيعة الإمامية[١].

نصّ الفتوىٰ

وأخيراً أصدر الشيخ محمود شلتوت فتوىٰ بجواز اتّباع المذهب الشيعي، في يوم مبارك، هو ١٧ ربيع الأوّل سنة ١٣٧٨ هـ، المصادف للذكرىٰ السنويّة

(١) مجموعة المقالات: ١٧٥.

لولادة الرسول الأكرم ﷺ، وذكرىٰ الولادة السعيدة لزعيم الفقه الجعفري الإمام الصادق عليه السلام، وبحضور ممثّلي مذاهب: الإماميّة، والزيديّة، والشافعيّة، والحنبليّة، والمالكيّة، والحنفيّة.

وهذا هو نصّ الفتوىٰ:

سُئل فضيلته:

إنّ بعض الناس يرىٰ أنّه يجب علىٰ المسلم لكي تقع عباداته ومعاملاته علىٰ وجه صحيح أن يقلّد أحد المذاهب الأربعة المعروفة، وليس من بينها مذهب الشيعة الإماميّة ولا الشيعة الزيديّة، فهل توافقون فضيلتكم علىٰ هذا المبدأ علىٰ إطلاقه، فتمنعون تقليد مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشريّة مثلاً؟

فأجاب فضيلته:

«إنّ الإسلام لا يوجب علىٰ أحد من أتباعه اتّباع مذهب معيّن، بل نقول: إنّ لكلّ مسلم الحقّ في أن يقلّد بادئ ذي بدء أيّ مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً، والمدوّنة أحكامها في كتبها الخاصّة، ولمن قلّد مذهباً من هذه المذاهب أن ينتقل إلىٰ غيره ـ أيّ مذهب كان ـ ولا حرج عليه في شيء من ذلك.

«إنّ مذهب الجعفريّة المعروف بمذهب الشيعة الإماميّة الاثني عشريّة مذهب يجوز التعبّد به شرعاً، كسائر مذاهب أهل السنّة..

فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك، وأن يتخلّصوا من العصبية بغير الحقّ لمذاهب معيّنة، فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابعة لمذهب أو مقتصرة علىٰ مذهب، فالكلّ مجتهدون مقبولون عند الله تعالىٰ، يجوز لمن ليس أهلاً للرأي والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقرّرونه في فقههم، ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات.

الشيخ محمود شلتوت».

ثمّ بعث برسالة إلى القمّي، هذا نصّها:

«السيّد صاحب السماحة العلّامة الجليل الأُستاذ محمّد تقي القمّي (السكرتير العام لجماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية):

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

أمّا بعد.. فيسرّني أن أبعث إلىٰ سماحتكم بصورة موقّع عليها بإمضائي من الفتوىٰ التي أصدرتها في شأن جواز التعبّد بمذهب الشيعة الإمامية، راجياً أن تحفظوها في سجلّات دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، التي أسهمنا معكم في تأسيسها، ووفّقنا الله لتحقيق رسالتها.

والسلام عليكم ورحمة الله.

شيخ الجامع الأزهر

الشيخ محمود شلتوت»[1].

صدور هذه الفتوىٰ جلب أنظار عموم المسلمين في أقطار العالم الإسلامي، والكثير من المفكّرين أيّدوها وساندوها؛ إذ رأوا فيها تحوّلاً مهمّاً في العلاقات بين السنّة والشيعة، ولكن البعض من ضيّقي الأُفق وأصحاب فكرة التفرقة والتشتّت انتقدوه بسبب هذا العمل، وأشكلوا عليه اعترافه رسمياً بالمذهب الشيعي.

أحد الأشخاص المعترضين علىٰ الشيخ شلتوت وضمن انتقاده له قال: «إنّ هذا المذهب بدعة، كيف تعترف رسمياً به»؟!

فأجابه الشيخ شلتوت بهدوء: «عملت هذا العمل لوجه الله تعالىٰ».

ثمّ ذكر ـ بعد هذه الكلمة ـ اسم العلّامة محمّد تقي القمّي، وقال عنه: «أنا مؤمن به إلىٰ حدّ أنّي علىٰ استعداد أن أُحشر معه في الآخرة أينما حُشِر.. ليرضىٰ

---

(١) اتّحاد المذاهب الإسلامية: ٣٤٥.

مَن يرضىٰ وليرفض مَن يرفض!»[١].

دوافع إصدار الفتوىٰ

أحد الدلائل المهمّة التي دفعت بالشيخ شلتوت إلىٰ إصدار هذه الفتوىٰ هو قراءة ومطالعة الكتب الفقهية لعلماء الشيعة، والتدبّر والبحث في ما ورد فيها من أدلّة..

يقول الشيخ محمّد جواد مغنية:

«ذهبت يوماً، في سفري إلىٰ مصر، للقاء الأُستاذ شلتوت رئيس جامع الأزهر، ورأيت كثيراً من العلماء في حضرته، وقلت له: ما هو الدافع لإصداركم فتواكم التاريخية بجواز التعبّد بالمذهب الجعفري؟ فأجاب: لم تكن فتوانا بدوافع سياسية أو غيرها، بل كان الدافع المهمّ هو بعض الكتب الفقهية للشيعة، عندما قرّرت أن أبحث بشكل مقارن بعض المسائل الأخلاقية والنظريّة، مررت علىٰ أدلّة كلّ علماء المذاهب في هذه المسائل، فوجدت أنّ أدلّة علماء الشيعة أقوىٰ وأمتن من أدلّة الباقين، وهذا هو سبب إصداري الفتوىٰ، ثمّ أضاف: يجب أن تقرؤوا كتب الشيعة»[٢].

إهداء الفتوىٰ إلىٰ الحرم الرضوي المقدّس

عقد مجلس خاصّ في مدينة مشهد المقدّسة من جانب آية الله السيّد محمّد هادي الميلاني[٣]، وحضره العديد من الشخصيات السياسية والعلمية؛

(١) روزنامه جمهوري إسلامي (صحيفة الجمهوريّة الإسلاميّة) / (١٩ / ١٠ / ١٣٧٩ هـ ش) / العدد الخاصّ / صفحة: ١٠.

(٢) روزنامه كيهان (صحيفة كيهان) / (١٦ / ٥ / ١٣٧٢ هـ ش) / صفحة: ٦.

(٣) محمّد هادي بن جعفر بن أحمد بن مرتضى الحسيني الميلاني التبريزي: من الفقهاء الكبار ←

لتقدير وتكريم الشيخ محمود شلتوت، وقد تحدّث الشيخ محمّـد تقي القمّي في هذا المجلس، وألقىٰ كلمة في أتباع ومريدي التقريب بين المذاهب الإسـلامية.

وكان ذلك بحضور علماء وأعلام مدينة مشهد، منهم: آية الله الميلاني، آيـة الله ميرزا أحمد الكفائي (١)، وآية الله واعظ زادة الخراساني..

أهدىٰ الشيخ شلتوت فتواه التاريخية بجواز اتّباع المـذهب الشـيعي إلىٰ الحرم المقدّس، والتي كانت بخطّ يده، وحفظت في مكتبة الحرم بـعنوان وثـيقة تاريخية مهمّة (٢).

← ومن مراجع التقليد. ولد في النجف الأشرف سنة ١٣١٣ هـ، وطوى بعض المراحـل الدراسيّة، ثمّ حضر الأبحاث العالية على: شيخ الشريعة الأصفهاني، والشيخ محمّد حسين النائيني، والشيخ ضياء الدين العراقي، والشيخ محمّد حسين الأصفهاني، والشيخ محمّد جواد البلاغي. وحاز ملكة الاجتهاد، واستقلّ بالبحث والتدريس، ثمّ هاجر إلى مشهد سنة ١٣٧٣ هـ، واستوطنها، وصار مبرّزاً من بين علمائها، كما كان من العلماء المجاهدين الذين وقفوا بوجه السلطات الحاكمة أنذاك. من تلاميذه: السيّد محسن بن علي الجلالي، والسيّد محمّد بن مهدي الشيرازي، والسيّد أحمد بن عزيز الفالي، والسيّد محمّد كاظم القزويني. ألّف كتباً، منها: الحاشية على المكاسب، محاضرات في فقه الإماميّة، التأمين واليانصيب، قادتنا كيف نعرفهم. توفّي في مشهد سنة ١٣٩٥ هـ. (الذريعة ٢٤: ٩٩، معجم رجال الفكر والأدب ٣: ١٢٥٥ ـ ١٢٥٦، طبقات الفقهاء ١٤: ٨٠٣ ـ ٨٠٥).

(١) أحمد بن محمّد كاظم بن حسين الخراساني النجفي الكفائي، كـان عـالماً إمـاميّاً فـقيهاً مدرّساً. ولد في النجف الأشرف عام ١٣٠٠ هـ، ودرس عند: السيّد أبي الحسن الأصفهاني، وأخيه محمّد الكفائي، وأبيه الآخوند الخراسـاني. وبـلغ مـرتبة الاجـتهاد، وشـرع فـي التدريس، وألّف حاشية على كفاية الأُصول، وشارك في ثورة العشـرين ضـدّ الاحـتلال الإنجليزي، وقررّت حكومة ذلك الوقت نفيه مع جماعة من العلماء إلى إيران سنة ١٣٤١ هـ، فاستوطن الشيخ أحمد مدينة مشهد، وتصدّى بها للبحث والتدريس وإمامة الجماعة، حتّى توفّي عام ١٣٩١ هـ. (الذريعة ٦: ١٨٦، معجم رجال الفكر والأدب ١: ٤٠، تراجم الرجال ١: ٨٨ ـ ٨٩).

(٢) اتّحاد المذاهب الإسلامية: ٣١٨.

نشاطات الشيخ شلتوت في سبيل تحقيق الوحدة

أوّلاً ـ تأسيس كرسي الفقه المقارن

١ ـ تعريف الفقه المقارن

يعرّف آية الله إبراهيم الجنّاتي الفقه التطبيقي المقارن بما يلي ـ:

للفقه التطبيقي تعريفان:

الأوّل: جمع آراء ورؤىٰ وفتاوىٰ علماء المذاهب الإسلامية في المسائل الفرعية جنباً إلىٰ جنب، بدون الموازنة في ما بينها من حيث الدلالة والسند، وبلا تحديد لأفضلية أيّ منها علىٰ الآخر من حيث الدليل.

ويطلق حالياً علىٰ الفقه التطبيقي بهذا المعنىٰ: الفقه المقارن.

الثاني: الجمع بين فتاوىٰ وآراء علماء المذاهب جنباً إلىٰ جنب مع أدلّتها، ومع إجراء موازنة وتحقيق لهذه الأدلّة؛ للحصول علىٰ القول الأفضل والأقوىٰ.

ويطلق حالياً علىٰ الفقه التطبيقي بهذا المعنىٰ: الفقه القياسي [(١)].

---

(١) مجلّة كيهان أنديشه (مجلّة عالم الفكر) / (فروردين ١٣٧٤ هـ. ش (آذار ١٩٩٥م) / صفحة: ٣٥. ولاحظ مقدّمة دروس في الفقه المقارن: ٩.

إنّ أوّل مَن دوّن في الفقه التطبيقي من الشيعة هو: السيّد الشريف المرتضىٰ علم الهدىٰ، وكتب في هذا الموضوع كتابين: «الانتصار»، و«الناصريات».

والشيخ الطوسي واصل واستمرّ في طريق أُستاذه، بتأليفه كتاب «الخلاف في الفقه» في موضوع الفقه التطبيقي.

وكذلك في عصرنا الحاضر لدىٰ علماء الشيعة اهتمام بهذا الفرع العلمي؛ فقد ألّف الشيخ ←

٢ ـ تأسيس الفقه المقارن(*)

← محمّـد جواد مغنية في هذا الموضوع كتابه الجيّد: «الفقه علىٰ المذاهب الخمسة»..
وقد توجّه بعض علماء أهل السنّة المتأخّرين لهذا الموضوع؛ فقد كانت المبادرة من «عبد الله بن عمر» المعروف بـ: «أبي زيد الدبّوسي» بتأليفه كتاب «التعليقة في مسائل الخلاف بين الأُمّة».
مجلّة كيهان أنديشه (مجلّة عالم الفكر) / (فروردين ١٣٧٤ هـ. ش (آذار ١٩٩٥م) / صفحة: ٣٩.

(*) كان إنجاز الشيخ مصطفى المراغي في الثلاثينيات يتمثّل في الإلزام بمادّة المقارنة بين المذاهب، ولكنّها مقارنة على المذاهب الأربعة، على الرغم من أنّ الشيخ المراغي لا يرى التقيّد بها وحدها، ولكن الموقف الرسمي لم يستوعب أكثر من هذا التعديل، وهو في وقته ثورة علمية بكلّ المعاني، وانتظرت الأُمّة ربع قرن حتّى تصبح المقارنة بين جميع المذاهب الفقهية قراراً جماعياً، دون أن نعزل هذا القرار عن جهود سابقة لعلماء التقريب بين المذاهب قبل الإنشاء الرسمي للجماعة وبعدها، تمثّل ذلك في انتصار فقهاء الإسلام في المؤتمرات الدولية للفقه المقارن، والذي اعتبر الشريعة الإسلامية بمذاهبها المختلفة من العائلات القانونية المعترف بها، وظهرت الدعوة إلى موسوعة فقهية دخلت فكرتها حيّز التنفيذ لأوّل مرّة في مشروع كلّية الشريعة بدمشق لموسوعة فقهية جامعة، وجاء الشيخ محمود شلتوت ـ وهو على رأس الأزهر المعمور ـ ليصل بهذا الاتّجاه إلى غايته ويعلن انتهاء زمن العصبية المذهبية، حيث عرف المسلمون ـ على حدّ تعبير الشيخ شلتوت ـ أنّ اختلاف الأشقّاء لا يمكن أن يدوم أو يطّرد، فلابدّ أن يأتي يوم يحقّقون فيه نسبهم إلى أبيهم، وينتمون فيه إلى أصلهم الذي انبثقوا منه وتفرّعوا عنه، وأخذت هذه الروح تنمو وتضيّق شقّة الخلاف بين أهل المذاهب، حتّى اقتدى الحنفي بالشافعي، والسنّي بالشيعي، وتبودلت المنافع بينهم، واتّصلت الآراء، وأخذ كلّ ينتفع بما في مذهب الآخر، ومن هنا قرّ رأيي على أن أعمل على دراسة الفقه الإسلامي في كلّية الشريعة بجميع المذاهب الفقهية المعروفة الأُصول البيّنة المعالم، والتي من بينها دون شكّ مذاهب الشيعة، إمامية وزيديّة.
ولا شكّ أنّ هذه الخطوة تأكيد للتقريب بين المذاهب من ناحية، ودعم لرسالة كلّية الشريعة من ناحية ثانية.
وهي خطوة طالما دعا إليها فقهاء أعلام، فقد كتب الشيخ محمّد أبو زهرة في عام ١٩٥٤ ـ
←

. . . .

← وهو يقدّم لرسالة (المصلحة في التشريع الإسلامي) يقول: «لقد آن لنا أن ندرس الثروة الفقهية الإسلامية كلّاً لا يقبل التجزئة، فندرس ما عند الشيعة من ذخائر العلم والفقه، كما درسنا ما عند غيرهم، فهو تراثنا، وهو تراث الإسلام، نختار أجوده، ونزجي زيفه، لا يهمّنا إلّا جيّد القول، فنلمسه ونبحث عنه أيّاً كان قائله، ولقد ابتدأ أستاذنا المرحوم أحمد إبراهيم بهذه الدراسات المقارنة، فلم يفرّق في دراسته بين سنّي وشيعي وخارجي».
هذا ما يقوله الشيخ أبو زهرة معبّراً عمّا ينقص الدراسات الفقهية، ولو امتدّ عمر الشيخ أحمد إبراهيم المتوفّى عام ١٩٤٥ إلى حين تأسيس جماعة التقريب بين المذاهب لكان من أوائل المؤسّسين، كما كان صاحب المنهج العلمي العملي في التقريب بين المذاهب، ومنهج كلّية الشريعة في دراسة مذاهب الشيعة كان خاضعاً لعلم الفقه المقارن، فالذي قرّره الأزهر بقرار الشيخ شلتوت ليس دراسة مذهب الإمامية والزيديّة على سبيل الاستقلال، وإنّما إدخال هذين المذهبين في منهج الفقه المقارن.
ودراسة الفقه المقارن تقوم على أساس ضروري، هو أن يدخل الباحثون فيها غير متأثّرين بحكم سابق ضدّ هذا المذهب أو ذاك، ولذلك يجب أن يخلع الباحث العلمي ثوبه المذهبي قبل أن يدخل قاعة الدرس، وإلّا كان الزعم بأنّ ما يفعله مقارنة بين المذاهب زعماً غير صحيح.
وما قرّره الأزهر من الاكتفاء بدراسة مذهبي الإمامية والزيديّة ضمن منهاج الفقه المقارن لم يكن مرجعه ـ كما يقول الشيخ محمّد محمّد المدني عميد كلّية الشريعة وقتئذٍ ـ أنّه يستنكر دراسة هذين المذهبين على سبيل الاستقلال، ولكن لأنّ الدراسة الجامعية الأصلية هي الدراسة المقارنة، وليس ما يهمّ الأزهر أن يزيد مذهباً على مذاهبه الأربعة، كي يدرس مثلها على سبيل الاستقلال، بل لعلّه يرمي إلى مستقبل تكون فيه جميع الدراسات الفقهية في كلّية الشريعة وأقسام التخصّص بها دراسات مقارنة.
ولم تكن هذه فقط إنجازات الشيخ شلتوت في مجال التقريب، بل إنّه كان داعية لنشر التراث الاثني عشري. فقد كتب مقدّمة «مجمع البيان» عند نشره، وهو التفسير الدقيق للإمام أبي الفضل الطبرسي أحد كبار الشيعة الإمامية، ونشرت وزارة الأوقاف في عهد مشيخته للأزهر كتاب «المختصر النافع» في الفقه الإمامي، وكانت دار التقريب في بداية عملها نشرت كتاب «الروضة البهية» لزين الدين العاملي، والكتاب يضمّ بين ثناياه فقه
←

من الأعمال المهمّة التي قام به الشيخ شلتوت تأسيس قسم الفقه المقارن في جامعة الأزهر(*).

← الاثني عشريّة من خلال الشهيدين الأوّل والثاني.

ولو أردنا أن نلخّص أثر التقريب في مجال الفقه على السنّة والشيعة لوجدنا أثره في مجال الفقه السني يتمثّل في التأكيد على مبدأ الاجتهاد وتوسيع دائرة الفقه الواقعي الذي يلائم مصلحة الناس ويلبّي مطالب التشريع، بعد الخروج من ضيق المذهب الواحد إلى سعة المذاهب الإسلامية المتعدّدة.

أمّا أثره في مجال الفقه الشيعي فنجده في تجاوز العزلة التي أدّى إليها حصر المذاهب في الأربعة السنّية المعروفة، وهو حصر أدّى ـ كما قال العلّامة تقي الدين القمّي ـ ببقية المذاهب إلى الاعتزال أو الاندثار، وكان الاعتزال من نصيب المذهب الشيعي الذي مكّنه التقريب من تجسير الفجوة وإنهاء المقاطعة التي عزلت هذا الفريق الكبير من المسلمين عن بقية إخوانهم، ثمّ مكّنت فقه الفريقين من مقاومة الاستجلاب التشريعي والغزو الثقافي، وما أجلّها من مهمّة، وما أصعبها أيضاً! (الإمامان البروجردي وشلتوت رائدا التقريب: ٢٣٧ ـ ٢٣٩).

(*) كان من الطبيعي لشخصية علمية كالشيخ شلتوت، الذي يلمّ بالآراء المتعدّدة في مجال الفقه الإسلامي، ويدرك الحجج والأدلّة التي يستند إليها الفقهاء في القضايا المختلفة، أن يعني بالفقه المقارن، ويوليه اهتمامه، خاصّة وأنّه يحتاج إلى الاطّلاع على فقه المذاهب المختلفة عندما يتعرّض للفتوى في مسألة من المسائل، ولهذا وجدناه يضع الفقه المقارن في دائرة اهتمامه، وتكون كتابته في كثير من القضايا متعرّضة لبيان أكثر من رأي في القضية المعروضة، ثمّ يبدي رأيه المعتمد على الأدلّة.

وقد أثمر اهتمامه بالفقه المتقارن كتاباً اشترك فيه مع شيخ معاصر له هو الشيخ محمّد علي السايس، وسمّيا هذا الكتاب باسم «مقارنة المذاهب في الفقه»، بيّنا فيه فائدة المقارنة والأسباب التي أدّت إلى اختلاف أئمّة الفقه الإسلامي، واشتمل على كثير من المسائل في الطهارة والصلاة والزكاة والزواج والطلاق والقضاء والميراث.

وكان يقوم بتدريس هذا الكتاب لطلّاب كلّية الشريعة بجامعة الأزهر الشريف، ممّا كان له أثر في تعرّف الطلّاب على الآراء المتعدّدة في القضايا المختلفة، وترسيخ احترام الآراء المتعدّدة، وتهيئة الطلّاب نفسياً لقبول حكم في مذهب فقهي آخر غير المذهب الذي ينتمي ←

فهو من الرجال الذين لم يكن لديهم أيّ تعصّب مذهبي، وممّن يقبل القول الحقّ من أيّ مذهب كان..

يقول بشأن تأسيس كرسي الفقه المقارن:

«وها هو ذا الأزهر الشريف ينزل علىٰ حكم هذا المبدأ، مبدأ التقريب بين أرباب المذاهب المختلفة، فيقرّر دراسة فقه المذاهب الإسلامية، سنّيها وشيعيها، دراسة تعتمد علىٰ الدليل والبرهان، وخالية من التعصّب»(١).

وفي مقايسته بين أدلّة علماء المذاهب المختلفة، كان قد قبل أصلاً واحداً، وهو قبول الدليل الأقوى، سواء كان من مذهبه أم من مذهب آخر.. يقول:

«يجب أن يقبل فقهاء المسلمين، بعضهم من البعض الآخر، وبعيداً عن التعصّب والأهواء، كلّ رأي وفكر له تأثير إيجابي في تدعيم مباني الدين الإسلامي، ويؤمّن الخير والرفاه للأُسرة والمجتمع»(٢).

← إليه هؤلاء الطلّاب.. ولا يخفى ما لهذا من أثر في تخفيف حدّة التعصّب لمذهب فقهي معيّن.

وكان لفتواه بجواز التعبّد بأيّ مذهب فقهي إسلامي معتبر أساسها الذي تعتمد عليه، ذلك أنّ الفرق الإسلامية التي تؤمن بثوابت الإسلام لا تختلف في آرائها إلّا في المسائل الظنّية، التي لا يقطع فيها برأي دون رأي آخر، وما عدا المسائل الظنّية لا يتصوّر ولا يقع فيها الاختلاف بين علماء سائر المذاهب الإسلامية المعتبرة.

وأصبح الاتّجاه إلى ذكر آراء سائر الفرق والمذاهب الإسلامية منهجاً يتّبع في الكتابات الفقهية المقارنة، وتوجيهاً يوجّه إليه طلّاب الدراسات العليا في كلّيات الشريعة بجامعة الأزهر الشريف. (الإمامان البروجردي وشلتوت رائدا التقريب: ٢١٣ ـ ٢١٤).

(١) اتّحاد المذاهب الإسلامية: ٣٨٩.

(٢) روزنامه كيهان (صحيفة كيهان) / (٢٦ / ٨ / ١٣٧٢ هـ ش) / صفحة: ٧.

٣ ـ مقرّرات الفقه المقارن

كتب الشيخ محمود شلتوت بشأن مقرّرات تدريس الفقه المقارن التي كتبها بنفسه:

إنّ تدريس الفقه المقارن بين المذاهب الإسلاميّة يكون علىٰ أساس المقرّرات التالية:

١ ـ تبتني البحوث والدراسات للمذاهب الفقهية ـ بدون تمييز بين المذهب السنّي والشيعي ـ وتعتمد علىٰ الرؤىٰ الفقهيّة، من الأحكام والدلائل، لكلّ من المذاهب الأربعة لأهل السنّة، ومذهبي: الإمامية الاثني عشريّة، والزيديّة.

٢ ـ تهذيب الحكم الذي يعتمد علىٰ الدليل من الانقياد نحو المذهب الخاصّ بالأُستاذ أو الطالب؛ لتحقّق نتيجة المقارنة، وإبراز الرأي الحسن والراجح من بين الآراء المختلفة، وإبطال التعصّبات الفرقية المذمومة.

٣ ـ العمل في أُصول الفقه بشكل خاصّ علىٰ بيان المواضع الأُصولية التي هي مورد الاختلاف بين المذاهب الإسلامية الستّة المذكورة، مع بيان أسباب الاختلاف.

٤ ـ سيشتمل علم مصطلح الحديث ورجال الحديث علىٰ البحث والتحقيق في الاصطلاحات الحديثية عند أهل السنّة، ومصطلحات المذهبين الإمامي والزيدي، وكذلك يشتمل علىٰ البحث والتحقيق في الرجال المشهورين، وأصحاب المسانيد، وأسانيدهم في فقه المذهبين، وللزيادة في التوسّع أُحيلت التفاصيل إلىٰ الدراسات العليا في كلّية الشريعة[١].

---

(١) الشيخ محمود شلتوت (رائد التقريب): ١٥١.

٤ ـ نتائج تأسيس الفقه المقارن

من النتائج المهمّة لتأسيس قسم الفقه المقارن مقايسة بعض الأحكام الإسلاميّة وثبوت أفضلية رأي الشيعة فيها، ممّا أدّىٰ في ما بعد إلىٰ إدراجها ضمن موادّ القانون الرسمي لمصر.

ويشير الشيخ شلتوت إلىٰ بعض هذه الموارد:

«لا أنسىٰ أنّي قمت بتدريس التطبيق والمقارنة بين المذاهب في كلّية الشريعة، وكنت أعرض آراء المذاهب في المسألة الواحدة، ومن بينها أعرض رأي مذهب الشيعة، وفي أحيان كثيرة أنتخب رأي المذهب الشيعي؛ لأنّي أتبع الدليل أينما وجد.

وأيضاً لا يُمحىٰ من ذاكرتي أنّي أفتيت في كثير من المسائل طبقاً لرأي الشيعة، منها ما يخصّ القوانين المرتبطة بالأحوال الشخصيّة، وكذلك بعض المسائل، منها:

الف ـ حكم الطلاق ثلاثاً:

يعدّ الطلاق ثلاثاً الذي يقع في وقت واحد عند المذاهب السنّية طلاقاً ثلاثياً مؤبّداً، لكن عند المذهب الشيعي يعدّ طلاقاً رجعياً واحداً فحسب[١]، والقانون وافق علىٰ العمل بهذا الحكم، وفتوىٰ مذهب أهل السنّة لم يعد لها قيمة في نظر القضاء الشرعي.

والآن يتمّ التعامل في المحاكم المصريّة مع حكم الطلاق ثلاثاً وفق مذهب الشيعة.

إنّ الطلاق المصحوب بعدد، لفظاً أوإشارةً، لا يُحسب إلّا طلاقاً واحداً، لا

(١) راجع المسألة في الخلاف ٤: ٤٤٥ ـ ٤٥٣.

أكثر»[١].

ب ـ الطلاق المعلّق:

وفي ما يخصّ هذا الموضوع يقول الشيخ شلتوت: «رأي قوانين الأحوال الشخصيّة ـ في آخر تدوين لها ـ أنّ الطلاق المعلّق يقع أحياناً وأحياناً لا يقع؛ إذ يكون مرتبطاً بقصد الطلاق أو التهديد به، ولكن رأي مذهب الشيعة هو: أنّ التعليق لا يكون موجباً للطلاق مطلقاً، ولو كان بقصد التهديد، أو بقصد الطلاق[٢]. وقد رجّحت هذا الرأي، وأفتيت به وبيّنته في كثير من الأحيان، وكتبت في مورد وقوع الطلاق في كتاباتي عن موضوع الطلاق، وفي إجاباتي للمفكّرين»[٣].

جـ ـ مسألة الرضاع:

وفي هذا الموضوع اختار الشيخ شلتوت رأي الشيعة أيضاً، بعد البحث والتحقيق في آراء المذاهب الإسلامية، يقول بهذا الخصوص: «في مسألة الرضاع[٤]، وهل أنّ الطفل إذا رضع من امرأة مرّة واحدة يستوجب الحكم

---

(١) الشيخ محمود شلتوت (رائد التقريب): ١٧٩.

(٢) راجع المسألة في الخلاف ٤: ٤٥٧ ـ ٤٥٨.

(٣) روزنامه جمهوري إسلامي (صحيفة الجمهوريّة الإسلاميّة) / (١٩ / ١٠ / ١٣٧٩ هـ ش) / العدد الخاصّ / صفحة: ١٠.

(٤) مسألة الرضاع من المسائل الإسلامية المهمّة، التي يحكم علىٰ أساسها بمحرمية الطفل الذي يرضع لعدّة مرّات من امرأة أجنبية، علىٰ المرأة وأولادها، وفي فقه الشيعة يجب أن تتوفّر شروط معيّنة لتتحقّق المحرمية في الرضاع، وهي: أن ترضع المرأة الأجنبية طفلاً أجنبياً (١٥) رضعة كاملة متتالية، لكن برأي الشافعية والحنبلية تتحقّق المحرمية بـ ٥ رضعات، وبرأي الحنفية والمالكية تتحقّق المحرمية حتّىٰ بالقطرة الواحدة من حليب المرضعة، كما ذكرت بعض الشروط الأُخرى. راجع المسألة في الخلاف ٥: ٩٥ ـ ٩٨.

بأُمومتها له، أم يتطلّب عدداً أكثر ليُحكم بأُمومة المرضعة؟[(١)] أنا شخصياً رأيت أنّ دليل الشيعة أقوىٰ، ولذلك أفتيت في هذا الموضوع وفق رأيهم»[(٢)].

ثانياً ـ كتابة مقدّمة لكتاب تفسير «مجمع البيان»

أحد نشاطات الشيخ محمود شلتوت في سبيل الوحدة الإسلامية والتعريف بالشيعة للإخوة أهل السنّة كان كتابة مقدّمة علمية للكتاب القيّم تفسير «مجمع البيان» للمفسّر الشيعي الكبير العلّامة الطبرسي[(٣)]، حيث اقترح الشيخ عبد المجيد سليم الرئيس الأسبق لجامعة الأزهر علىٰ دار التقريب طباعته بعنوان أفضل تفسير، وطبع في دار التقريب مع مقدّمة الشيخ شلتوت وتعليقات وهوامش علماء الأزهر..

أثنىٰ الشيخ شلتوت علىٰ هذا الكتاب، وكتب بشأنه:

«هذا الكتاب هو أوّل وأكمل كتاب تفسيري جامع، تمكّن أن يحوي خصائص عديدة، مثل: كثرة المباحث، غناء المطالب، النظم الموحّد (السبك

---

(١) راجع المسألة في الخلاف ٥: ٩٥ ـ ٩٨.

(٢) الشيخ محمود شلتوت (رائد التقريب): ١٨٤.

(٣) أبو علي أمين الدين الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي: المفسّر والعلّامة الكبير. مولده في عشر السبعين وأربع مائة هجريّة. كان من أجلّاء علماء الإمامية فقهاً وحديثاً ولغةً وتفسيراً. روى عن: أبي علي بن أبي جعفر الطوسي، وعبد الجبّار بن عبدالله الرازي، ومحمّد بن الحسين الجرجاني، وآخرين. وروى عنه: ولده الحسن، وابن شهر آشوب، وقطب الدين الراوندي، وغيرهم. من مؤلّفاته: مجمع البيان، جوامع الجامع، إعلام الورى، تاج المواليد، الفائق. فوّضت إليه مدرسة باب العراق ببيهق، فأقام بها إلى حين وفاته سنة ٥٤٨ هـ، وحمل تابوته إلى مدينة مشهد، فدفن عند مغتسل الإمام الرضا عليه السلام. (الفهرست لمنتجب الدين: ١٤٤ ـ ١٤٥، معجم المفسّرين ١: ٤٢٠، نقد الرجال ٤: ١٩).

الموحّد)، المحافظة علىٰ خواصّ تفسير القرآن، وغيرها..»[١].

وبنظر الشيخ شلتوت أنّ الميزة المهمّة لتفسير العلّامة الطبرسي هي الابتعاد عن التعصّب المذهبي، يقول بهذا الشأن:

«إنّ مصنّف (مجمع البيان) سعىٰ في كتابه أن تكون الأفكار العلميّة هي الغالبة علىٰ المشاعر والأحاسيس المذهبيّة، وهو على الرغم من عنايته بإبداء رأي الشيعة في موارد الاختلاف بالشكل الذي يبدو لأوّل وهلة أنّه عرض للمشاعر المذهبيّة، لكن لم يظهر الإفراط منه في أيّ موضع بهذا الخصوص، ولم يحمّله علىٰ مخالفيه ومخالفي مذهبه»[٢].

وكان الشيخ شلتوت يرىٰ العلّامة الطبرسي عالماً متحرّر الفكر وغير متعصّب، فأبدى مودّته تجاهه، ووصفه مثنياً عليه:

«الطبرسي هو الرجل الذي حقّق ـ بعد انتصاره العلمي الأوّل ـ نصرين آخَرين: ١ ـ الانتصار علىٰ التعصّب المذهبي. ٢ ـ الانتصار علىٰ حجاب معاصريه (إذ كان معاصراً لصاحب الكشّاف)[٣]، وهذان: الجهاد والنصر، يجب أن يعدّا

---

(١) لاحظ مقدّمة تفسير مجمع البيان.

(٢) روزنامه جمهوري إسلامي (صحيفة الجمهوريّة الإسلاميّة) / (١٩ / ١٠ / ١٣٧٢ هـ ش) / العدد الخاصّ / صفحة: ١٠.

(٣) صاحب الكشّاف هو: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمّد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري: من أئمّة العلم بالدين والتفسير واللغة والأدب. ولد في زمخشر سنة ٤٦٧ هـ، وسافر إلى مكّة وجاور بها زمناً، فلقّب بجار الله، وتنقّل في البلدان، ثمّ عاد إلى جرجان، فتوفّي فيها سنة ٥٣٨ هـ. كان معتزلياً متشدّداً، وله نظم جيّد، من جملة تصانيفه: الكشّاف، المفصّل، المقامات، الفائق، المستقصى في أمثال العرب، ربيع الأبرار، أطواق الذهب. (دول الإسلام ٢: ٥٦، مرآة الجنان ٣: ٥٠٢ ـ ٥٠٧، العقد الثمين ٦: ٣٧ ـ ٤٤).

كبيرين؛ إذ أنّ جهاد النفس ـ إذا تمكّن الإنسان منه ـ هو الجهاد الأكبر»(١).

ثالثاً ـ كتاب الله وعترتي

أحد مواضيع الاختلاف بين علماء أهل السنّة وعلماء الشيعة الموجودة بينهم منذ قديم، هو حديث الثقلين؛ إذ يعتقد أكثر علماء أهل السنّة أنّ الرسول الأكرم ﷺ قال: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وسنّتي»(٢).

بينما يرىٰ علماء الشيعة أنّ الرسول الأكرم ﷺ قال: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي»(٣).

طبعاً هذه الروايّة نُقلت في كتب أهل السنّة أيضاً(٤).

والعلّامة شلتوت أبدىٰ رأيه واعتقاده بهذين القولين، وجمع بينهما، في خطوة أُخرىٰ في سبيل التقريب بين هذين المذهبين، فقال:

«طرق حديث الثقلين متعدّدة، وفي بعضها ورد: «كتاب الله وعترتي»، وبلا شكّ أنّ السنّة هي ما كان عليه النبيّ ﷺ وعترته الطاهرة»(٥).

---

(١) روزنامه جمهوري إسلامي (صحيفة الجمهوريّة الإسلاميّة) / (١٩ / ١٠ / ١٣٧٢ هـ ش) / العدد الخاصّ / صفحة: ١٠.

(٢) الموطّأ: ٨٩٩، كنز العمّال ١: ١٨٧.

(٣) الغدير ٣: ٩٩، ١١٨، ٢٥٥ و٦: ٤٦٦ و٧: ٢٣٧ و١٠: ٣٨٩، وراجع حديث الثقلين للوشنوي.

(٤) لاحظ: سنن الدارمي ٢: ٤٣٢، مسند أحمد ٣: ١٤، ١٧ و٤: ٣٦٧، السنن الكبرى للبيهقي ٢: ١٤٨ و٧: ٣٠ و١٠: ١١٤، مجمع الزوائد ٩: ١٦٣، الدّر المنثور ٢: ٦٠.

مع العلم بأنّ المجاميع التي نقلت هذا الحديث تتجاوز العشرات، وإنّما ذكرت هنا بعضها على سبيل المثال لا الحصر، فلاحظ.

(٥) الشيخ محمود شلتوت (رائد التقريب): ٣٠.

الفصل الربع :

أفكاره

اليأس.. آفة الأُمم

إحدىٰ الوسائل المهمّة لنفوذ الاستكبار في المجتمعات الإسلاميّة: خـلق وإشاعة أجواء الإحباط واليأس تجاه المستقبل، وإذا استطاع الاستعمار أن ينجح في وسيلته هذه، فستكون ضربة لا تُجبر لكيان هذه المجتمعات؛ إذ أنّ الأمل في المستقبل يدفع بالإنسان نحو التقدّم والازدهار، والإنسان اليائس لا يتمكّن من عمل أيّ شيء، ولا فرق عنده بين الحياة والممات.

يقول المفكّر المصري الكبير الشيخ شلتوت في تحذيره للمسلمين وتنبيههم:

«أسوأ أنواع الكلام القبيح البذيء الذي يوجّه صفعة ثقيلة لجسد المجتمع: العبارات والكلمات المصاحبة للإحباط واليأس، والتي كثيراً ما يتحدّث بها الآباء مع أبنائهم، أو المعلّمون والمربّون مع تلاميذهم وطلّابهم، ورجال السياسة والقادة المسؤولون في التجمّعات العموميّة، ويُبدون في كلامهم ضعف أُمّتهم، ليستظهروا ـ بهذا الشكل ـ أنّ الأُمّة غير قادرة علىٰ الاستمرار بعد، ولا يمكن إصلاحها.

وهذا نوع من الكلام القبيح، حمّل الناس عموماً نتائج وآثاراً سيّئة جدّاً وخطيرة، والتفريق والتعاسة والذلّ والعداء والضغينة بين أفراد المجتمع من هذه الآثار، إضافة إلىٰ أنّه يُظهر نوعاً من الجرأة عند الناس، تفضي إلىٰ الاستهانة بارتكاب الجرائم؛ إذ كلّ ما يسمعوه لا يتلقّوه إلّا بالإهمال وعدم الاهتمام.

والأثر الآخر لهذا العمل المذموم هو التخلّي عن الشعور بحبّ الوطن

والتشبّث بنظام الآخرين الفاسد، ولذلك من الواجب علىٰ الآباء والمربّين والقادة وكلّ علماء الاجتماع الصادقين بتطلّعهم لتحقيق السعادة والرفاه لبلدهم، عليهم أن يحذروا من هذا التلفيق السلبي والكلام البذيء، ولا يدعون منفذ اليأس هذا أن يلوّث أسماع وقلوب الأُمّة بسُمّ التشاؤم، لتبقىٰ علاقاتهم محفوظة، وأخلاقهم مصونة، ومقدّساتهم محترمة »(١).

سبيل النجاة

ويرىٰ الشيخ شلتوت أنّ سبيل نجاة المسلمين من المشكلات الموجودة هو: الرجوع إلىٰ تعاليم الإسلام والعمل بها، ويقول بهذا الخصوص:

« وسيقف المسلمون في أنحاء العالم المتفرّقة حيارىٰ مضطربين، وآنذاك سيسعون لفهم العلاقة بين الدين وحياتهم الاجتماعية، ممّا يجعلهم، علىٰ أثر ذلك الفهم يلتمسون في تعاليمه العون لحياتهم، وبذلك يسيرون في طريق السعادة »(٢).

مستقبل الدين الإسلامي

سأل مراسل صحيفة «اطّلاعات» الإيرانيّة الشيخ شلتوت:

كيف سيكون مستقبل الدين الإسلامي مع تقدّم العلم الباهر في العالم؟

أجاب الشيخ شلتوت، بعد تفكّر مثير للانتباه:

«كلّما تقدّم العلم وازداد ازدهاره يكون الإسلام أكثر ثباتاً وقوّة، والإسلام

(١) الأخلاق: ٢٧.

(٢) في مزرعة المجتمع: ١٣.

هو الدين الذي يحثّ الناس علىٰ التفكّر والسير والتأمّل في الأرض والكون، ومعرفة خصائص المخلوقات، والانتفاع بما سخّره الله تعالىٰ للبشر؛ إذ أنّ الله تعالىٰ يعلم أنّ هذا التفحّص والبحث في أعماق الأرض وقاع البحر والكون كلّه وسيلة لمعرفة الله والإيمان بعظمته وقدرته»(١).

فقه الشيخ شلتوت

لقد عُرف الشيخ محمود شلتوت كفقيه مشهور(*)، وعن شروط الفقيه كتب

(١) اتّحاد المذاهب الإسلامية: ٣٥٨.

(*) الشيخ شلتوت بثقافته الواسعة، واشتغاله بدراسة وتدريس الفقه الإسلامي وأُصوله، وتوافر الأُسس العلمية فيه التي تؤهّل الشخص ليقوم بالتعرّف على الأحكام الشرعية من مصادرها المعتبرة، كلّ ذلك أهّله ليكون صاحب فكر مستقلّ منطلق من قيد التبعية لمذهب معيّن، ونرى بعضاً من ملامح آرائه في الفقه الإسلامي فيما يلي:
إنّه يحارب الخرافات والأوهام التي شاعت بين الناس، ويبدي رأيه فيها معتمداً على الأدلّة الشرعية، حتّى لو كان رأيه الذي يبديه مخالفاً لما يقوله الفقهاء القدامى، ولهذا وجدناه ـ مثلاً ـ في مسألة زواج الإنسي بالجنّية أو بالعكس، يلتمس العذر لبعض فقهائنا القدامى في تصوّرهم وقوع مثل هذا بناءً على ما شاع بين عوام الناس من حدوث هذا الزواج الغريب، وبيّن الشيخ أنّ الزواج بالجانّ وهم من الأوهام التي استقرّت عند كثير من الناس، وأنّ بعض الفقهاء جاراهم وبيّنوا حكم ذلك، جرياً على طريقتهم في افتراض الحوادث.
قال الشيخ: «صدّق كثير من الناس ما شاع من ذلك من الجنّ [يقصد الزواج بالجنّ ودخولهم في جسم الإنسان ونحو ذلك] وتناقلوا فيه الحكايات التي ربّما رفعوها إلى السلف الصالح، واستمرّوا على ذلك، حتّى جاراهم الفقهاء، وفرضوا صحّته، واتّخذوا من هذا الفرض مادّة جعلوا منها حقلاً للتدريب على تطبيق كثير من الأحكام الشرعية عليهم، وكان منهم من تحدّثوا عن صحّة التزاوج بهم، وعن وجوب الغسل على الإنسية إذا خالطها جنّي، وعن انعقاد الجماعة بهم في الصلاة، وعن مرورهم بين يدي المصلّي، وعن روايتهم عن الإنسي، ورواية الإنس عنهم، وعن حكم استنجاء الإنس بزادهم وهو (العظم)، وعن حكم الأكل ←

يقول:

«مَن يشتغل بالفقه، حتّىٰ مَن له معرفة بعلوم مقدّمات الاجتهاد، لا ينبغي له أن يكتفي بمذهب واحد، وعليه أن يرىٰ في صحّة كلّ مسألة مقدار اعتمادها علىٰ ما هو الأقرب إلىٰ دليل القرآن والسنّة.

وهذا الأمر سيكون سهلاً بالاطّلاع علىٰ آراء المتقدّمين والمتأخّرين، والابتعاد عن التعصّب»(١).

← من ذبائحهم، إلى غير ذلك ممّا نراه منشوراً في كتب الفقه، أو نجده في كتب خاصّة ذات عناوين خاصّة بالجنّ».

ثمّ قال الشيخ: «وإنّي أعتقد أنّ ذلك من فقهائنا لم يكن إلّا مجرّد تمرين فقهي، جرياً على سنّتهم في افتراض الحالات والوقائع التي لا يرتقب وقعها أو التي لا يمكن أن تقع. وإذاً ففروض الفقهاء التي لم يقصدوا بها إلّا مجرّد التدريب الفقهي لا تصلح أن تكون دليلاً أو شبه دليل على الوقوع والتحقّق، فلنتركهم على سنّتهم يفترضون، ومردّنا في ذلك إلى القرآن الكريم».

وبيّن الشيخ أنّ القرآن الكريم ينفي هذا، واستشهد بالآية الكريمة التي تبيّن امتنان الله تعالى علينا بأن خلق لنا من أنفسنا أزواجاً لنسكن إليها، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [سورة الروم ٣٠: ٢١]، ووضّح أنّ الجنّ لا يعلمون الغيب ولا يقدرون على الإيذاء الاتّصالي بالإنس أو التلبّس.

ثمّ قال: «ومع هذا كلّه، قد تغلّب الوهم على الناس، ودرج المشعوذون في كلّ العصور على التلبيس وعلى غرس هذه الأوهام في نفوس الناس، استغلّوا بها ضعاف العقول والإيمان، ووضعوا في نفوسهم أنّ الجنّ يلبس جسم الإنسان، وأنّ لهم قدرة على استخراجه، ومن ذلك كانت بدعة الزار، وكانت حفلاته الساخرة المزريّة، ووضعوا في نفوسهم أنّ لهم القدرة على استخدام الجنّ في الحبّ والبغض والزواج والطلاق وجلب الخير ودفع الشرّ، وبذلك كانت التحويطة والمندل وخاتم سليمان». (الإمامان البروجردي وشلتوت رائدا التقريب: ٢٠٠ _ ٢٠١).

(١) مجلّة أخبار التقريب / العددان: ٤٣ و٤٤ / صفحة: ٤٥.

الاجتهاد في نظر الشيخ شلتوت(*)

(*) لم يدع العلّامة الشيخ محمود شلتوت طوال حياته قارئه أو سائله أو مجتمعه في حيرة، بل كان يجتهد ويفتي، ولا يتردّد عن استنباط الأحكام للحوادث الجديدة والنوازل الطارقة. هكذا كان منذ حمل أمانة العلم، وكان الدليل رائده في الاستنباط، والحقّ غايته في الفتوى، واجتهاداته في الفروع كثيرة، وله فيها كتب مجموعة وأقوال مخطوطة، نختار منها القليل الدالّ على منهجه، والمعبّر عن عمق مساهماته في فقه العصر:

أ ـ تنظيم النسل

سئل الإمام محمود شلتوت عن تحديد النسل أكثر من مرّة، فلخّص وجهة نظره قائلاً: «إنّ كلمة تحديد النسل بهذا القيد وبمعنى إيقاف النسل إلى حدّ معيّن لا يتّفق مع أُمّة تريد النهوض والقوّة واتّساع العمران وكثرة الأيدي العاملة في الزراعة والصناعة، وهو فوق ذلك لا يتّفق وما حثّت عليه الشريعة الإسلامية من الزواج، وما بيّنته أيضاً من امتنان المولى على الناس بنعمة البنين والحفدة، كأثر من آثار الزواج مع طمأنينة النفوس على الرزق.

وبذلك ترى أنّ التحديد بهذا المعنى العامّ تأباه طبيعة الحياة، وحكمة الحكيم تأباه، وكذلك الشريعة الإسلامية تمنعه ولا ترضاه.

أمّا تحديد النسل بمعنى تنظيمه بالنسبة إلى: السيّدات اللاتي يسرع إليهن الحمل، بالنسبة لذوي الأمراض المتنقّلة (أي: الوراثية)، بالنسبة للّذين تضعف أعصابهم من مواجهة المسؤوليات، أقول: إنّ تنظيم النسل لشيءٍ من هذا، وهو تنظيم فردي لا يتعدّى مجاله شأن علاجي تدفع به أضرار محقّقة، والتنظيم بهذا المعنى لا يجافي الطبيعة، ولا تأباه الشريعة إن لم تكن تطلبه وتحثّ عليه، ذلك أنّ القرآن حدّد مدّة الرضاع بحولين كاملين، وحذّر الرسول ﷺ من أن يرضع الطفل من لبن الحامل، وهذا يقتضي إباحة العمل على وقف الحمل مدّة الرضاع، وإذا كانت الشريعة تتطلّب كثرة قويّة لا هزيلة فهي تعمل على صيانة النسل من الضعف، وتعمل على دفع الضرر الذي يلحق الإنسان في حياته، ومن هنا قرّر العلماء إباحة منع الحمل مؤقّتاً بين زوجين أو دائماً إذا كان بهما أو بأحدهما داء من شأنه أن ينتقل في الذرّيّة والأحفاد».

ب ـ في ختان الإناث

وهي قضية أثارت مداداً كثيراً في الصحف وجدلاً في السياسة، سئل الشيخ محمود شلتوت عن ختان الإناث فقال ـ كما جاء في كتابه الفتاوى ـ: «والذي أراه أنّ حكم الشرع في ختان

←

→ الإناث لا يخضع لنصّ منقول، وإنّما يخضع في الذكر والأُنثى لقاعدة شرعية عامّة، وهي: أنّ إيلام الحي لا يجوز شرعاً، إلّا لمصالح تعود عليه وتربو على الألم الذي يلحقه...»، وانتهى إلى أنّ ختان الأُنثى ليس لدينا ما يدعو إليه وإلى تحتّمه، لا شرعاً، ولا خلقاً، ولا طبّاً.

ج ـ في الفائدة

حيث رأى الشيخ جواز الاستقراض بالربح للضرورة والحاجة، وهو رأي يخالف موقفه عام ١٩٥٠ عندما عارض الفائدة بالإطلاق. وقد انتقد البعض الشيخ، واعتبروا رأيه الجديد تراجعاً، ونحن لا نناقش موضوع الفائدة قبولاً ورفضاً، ولا فتوى الإمام محمود شلتوت تأييداً أو نقضاً، وإنّما نريد فهم فتواه في ضوء منهجه الذي يعتمد على الدليل كما يراه الشيخ، وعلى اعتباره اليسر وعدم الحرج من المبادئ العامّة في الشريعة، ولهذا المنهج تطبيقات كثيرة في فتاويه، منها: قوله: بأنّ مصافحة المرأة لا تنقض الوضوء، وصحّة الصلاة لمكشوف الرأس، ولصاحب الرأس المغطّاة، سواء كان الغطاء عمامة أو طاقية أو برنيطة، وقال في ذلك: «والحقّ أنّ أمر اللباس والهيئات الشخصية ـ ومنها حلق اللحية ـ من العادات التي ينبغي أن ينزل المرء فيها على استحسان البيئة، فمن درجت بيئته على استحسان شيء منها كان عليه أن يساير بيئته، وكان خروجه عمّا ألف الناس فيها شذوذاً عن البيئة».

وعلى هذا المنهج سار فيما يتعلّق بفتاويه في كثير من المسائل، ومنها الموسيقى والغناء، حيث أفتى بأنّ سماع الآلات ذات النغمات أو الأصوات الجميلة لا يمكن أن يحرّم باعتباره صوت آلة أو صوت إنسان، وإنّما يحرّم إذا استعين به على محرّم، أو اتّخذ وسيلة إلى محرّم، أو ألهى عن واجب.

إنّ منهج الشيخ شلتوت في الاجتهاد يقوم على أُسس ثلاثة:

الأوّل: الاعتماد على الدليل دون انتماء إلى مذهب فقهي لا يتعدّاه. ومن هنا أفتى في كثير من المسائل على غير مذهبه، بل على غير المذاهب الأربعة، كفتواه بحرمة زواج الكتابية ترجيحاً لرأي الشيعة الإمامية.

الثاني: الاستناد إلى مبادئ الشريعة الكلّية في الوصول إلى الأحكام، مثل: مبدأ لا ضرر ولا ضرار، وكان هذا المبدأ مستنده الأساسي في فتواه بجواز تنظيم النسل.

الثالث: الفتوى بالأيسر طالما لا تخالف نصّاً؛ لأنّه يرى ذلك في مصلحة المسلمين، حيث ←

الشيخ شلتوت من علماء أهل السنّة المعدودين الذين يعتقدون بفتح باب الاجتهاد، ويقول في هذا الشأن:

«نريد أن ننشئ أئمّة بارزين في اللغة وفروعها وفي الفقه وأُصول الفقه، يكون أساسهم عمق النظر، والاجتهاد العلمي، لديهم الشخصيّة الفقهيّة، والشخصيّة اللغويّة العربيّة، وليسوا هم خرّيجين مقيّدين بآراء السابقين والمذاهب الماضية، بل من الواجب أن نجتهد، ويكون لدينا الإيمان بأنّ احتياج اليوم في الفقه وعقائد الدين غير احتياج الأمس»[١].

عوامل البدعة

البدعة في الدين من الأخطار التي تهدّد الدين الإسلامي، ويرىٰ الشيخ محمود شلتوت أنّ من عوامل نشوء البدعة في الدين هو سكوت المسلمين، ويقول بهذا الشأن:

«أحد العوامل التي تروّج لنشوء البدعة هو السكوت عليها وعدم استنكارها، والذي غالباً ما يكون بسبب اختيار السكوت من باب المسامحة أو التجاهل وعدم المبالاة بتصرّفات العامّة، غافلين عن أنّ هذا الأُسلوب غير

← يصبح التشدّد موجباً للقطيعة بين المجتمع وأحكام شريعته في عصر القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر، ولكنّه لا يمدّ ذلك إلى الواجبات العليا.

سئل عن رأيه في قضية اللاجئين الفلسطينيّين، فأجاب في وضوح وحسم: «لا حلّ لهذه المشكلة إلّا بأن يعود اللاجئون إلى أوطانهم التي منها أُخرجوا بغياً وعدواناً، وأن يتخلّى الاستعمار عن دسائسه، فهو الذي أوجد المشكلة وأثار هذا الخلاف». (الإمامان البروجردي وشلتوت رائدا التقريب: ٢٢٥ ـ ٢٢٧).

(١) الشيخ محمود شلتوت (رائد التقريب): ١٠.

المقبول يؤدّي إلىٰ هدم ودمار حقائق الدين العليا الأصيلة، ويؤدّي إلىٰ ضلال العقول »[١].

الإمام شلتوت وفقه الشيعة

عندما كان الشيخ شلتوت مشغولاً بالبحث والمطالعة في الكتب الفقهيّة للشيعة، التفت إلىٰ أرجحيّة بعض أحكام الفقه الشيعي علىٰ أحكام فقه أهل السنّة من ناحية الأدلّة، ويقول بهذا الشأن وضمن قبوله لهذه الحقيقة:

«كنت وبعض الأُخوان نعمل في البحث والتحقيق في موضوع قانون الأحوال الشخصيّة وحقوق الأُسرة في دار التقريب وجامعة الأزهر، فتوضّح لدي أنّ لبعض آراء الشيعة ترجيح علىٰ آراء علماء أهل السنّة، ولذلك أفتيت في بعض القوانين طبق فتاواهم، خصوصاً القوانين المرتبطة بالأُسرة، مثل: الزواج، الطلاق، الإرث، وأمثاله».

ثمّ أضاف: «لا هدف لنا من الدراسة والبحث في فقه الاجتهاد عند المذاهب الإسلاميّة إلّا الوصول إلىٰ الأحكام الواقعيّة للإسلام، والأقرب لمطابقة الواقع ومنها، ومن المسلّم به أنّ الفقه الجعفري في الطليعة من أجل تحقيق هذا الهدف»[٢].

وبرأي الشيخ محمود شلتوت أنّ لفقه الشيعة ترجيحاً خاصّاً على فقه أهل السنّة في بعض المواضيع، فكتب بهذا الشأن قائلاً:

«كلّ مفكّر منصف طالبٍ للحقيقة يكتشف قوّة دليل مذهب الشيعة في كثير

---

(١) إسلام ويادبودها (الإسلام والذكريات): ٦١.
(٢) روزنامه كيهان (صحيفة كيهان) / (١٦ / ٥ / ١٣٧٢هـ ش) / صفحة: ٦.

من الأوقات؛ إذ هو متطابق مع أهداف الشريعة في بناء الأُسرة والمجتمع»[١].

الوهابيّة

إحدىٰ عقائد الوهابيّة التي هي محطّ انتقاد، حتّىٰ من بعض علماء أهل السنّة، هي ادّعاؤهم أنّ مَن يقبّل الأضرحة المقدّسة للرسول الأعظم ﷺ وللأئمّة المعصومين عليهم السلام، أو يطوف حولها، يكون مشركاً!

وقد اتّخذ الشيخ شلتوت موقفاً مخالفاً لهذه العقيدة؛ إذ يقول بهذا الصدد:

«الخير والصلاح لنا ولهم أنّه بدلاً من أن نَصِف الناس بالمشركين، ونسمّي أضرحة الأولياء التي تختصّ بعضها بشخصيّات عظيمة الشأن في الإسلام أصناماً، فلنعمل جاهدين علىٰ تعليم عوامّ الناس وجهلتهم، ونترفّع عن تكفير الناس، وإساءة الأدب إلىٰ الأرواح الطاهرة»[٢].

أقوال الأعلام الكبار فيه

الشيخ شلتوت كان شخصيّة كبيرة، ورجلاً معروفاً في العالم الإسلامي، وقد أثنىٰ عليه الكثير من مفكّري وعلماء الإسلام، وفي ما يلي إشارة إلىٰ بعض أقوال هؤلاء:

١ ـ الدكتور نصر فريد واصل المفتي الأعظم لمصر:

«إذا أردنا تقييم حياة الشخصيّات الكبيرة والرجال المعروفين بمقدار ما

(١) روزنامه جمهوري إسلامي (صحيفة الجمهوريّة الإسلاميّة) / (١٩ / ١٠ / ١٣٧٩ هـ ش) / العدد الخاصّ / صفحة: ٩.

(٢) الشيخ محمود شلتوت (رائد التقريب): ٢٩.

قدّموه من سعي وجهاد من أجل الوصول إلىٰ الأفكار العليا، ومن أجل الوصول إلى المدينة الفاضلة، فإنّ الشيخ شلتوت من الرجال الذين لهم باع طويل في هذا الطريق؛ وقد قدّم للإسلام وللمسلمين خدمات جليلة كثيرة، وقام بأعمال التدريس والبحث الواسع في الكثير من الفروع والمجالات العلميّة، وخاصّة موضوع الفقه، فكانت له اليد الطولىٰ في التحقيقات الواسعة التي جعلت منه واحداً من كبار فقهاء عصره»[1].

٢ ـ عبّاس محمود العقّاد الأديب المصري المعروف:

«مَن يعرف الإمام الفقيد الشيخ شلتوت، يعلم بأنّه من أجل هذه الرسالة (رسالة التقريب بين المذاهب) كان يتحلّىٰ بمزايا، غير قدرته العلميّة وشجاعته الصادقة، تلك المزايا هي: قلبه النظيف، وسجاياه الكريمة، والتي ألّفت بين أعدائه، كما ربطت أصحابه وأنصاره»[2].

٣ ـ شيخ الأزهر الدكتور محمّد الفحّام[3]:

(١) مجلّة أخبار التقريب / العددان: ٤٥ و٤٦ / صفحة: ٢٣.

(٢) الشيخ محمود شلتوت (رائد التقريب): ١٢.

(٣) إنّ الشيخ محمّد الفحّام قد قدّم جهوداً كبيرة في سبيل التقريب بين المذاهب الإسلاميّة، وبدأ في هذا المجال ببلاد: إيران، والهند، وباكستان، والجزائر، واليابان، وسائر البلاد الإسلامية وغير الإسلاميّة. وفي تاريخ ٢٢ / ٤ / ١٣٥٠ سافر إلىٰ طهران، والتقىٰ علماء الشيعة، وقال عن إيران التي أثنىٰ عليها: (كان أملي لسنوات أن أزور هذا البلد؛ إذ قرأت كثيراً من الكتب في الفلسفة والفقه والأدب، ووجدت أنّ جميع أساتذتنا قد ظهروا من إيران، مثل: الفخر الرازي، والجرجاني، والجوهري، وأبي الفرج الأصفهاني، وسيبويه. ويقول عن الوحدة: «الكلام بين السنّة والشيعة كثير، ولكن ما هو معتبر في الإسلام، وكذلك الحدود بين المسلمين وغير المسلمين: الشهادة بتوحيد الله ورسالته، ورسالة النبيّ الأكرم ﷺ، والاعتقاد بيوم القيامة. الإسلام لا يعرف العصبيّة والتعصّب، ولا فضل لعرب علىٰ عجم إلّا بالتقوىٰ». (روزنامه رسالت) (صحيفة كيهان) / (١٣٧١/٦/١٨ هـ. ش).

«أنا من الذين ينظرون إلىٰ الشيخ شلتوت بنظرة التقدير والاحترام، بالنسبة لأخلاقه، وعلمه، وسعة اطّلاعه، ومهارته في الأدب وتفسير القرآن، وتحقيقاته في أُصول الفقه. وشخصية بهذه المواصفات هي التي تفتي بجواز اتّباع مذهب الشيعة، وأنا لا أشكّ أبداً في أنّه بفتواه الصريحة هذه قد أفتىٰ بما اعتقده شخصيّاً»[١].

٤ ـ الشيخ محمّد الغزالي:

«أنا أعتقد أنّ فتوىٰ الأُستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت خطوة كبيرة في هذا المجال، وأنّها بعثت الأمل في قلوب الزعماء والعلماء المخلصين، وكذّبت ما توقّعه المستشرقون؛ إذ توقّعوا أنّ الضغينة والنفاق ستحطّم هذه الأُمّة قبل أن تتوصّل إلىٰ الاتّحاد والتضامن. وباعتقادي أنّ هذه الفتوىٰ خطوة رئيسيّة من أجل الاتّحاد وجمع المسلمين تحت راية الإسلام الذي أكمله الله واختاره لنا كأفضل دين»[٢].

٥ ـ العلّامة محمّد تقي القمّي:

«كان الشيخ شلتوت أحد علماء الأزهر الكبار وأساتذته، في تلك الأيّام التي شاركنا فيها بتأسيس وتشكيل جماعة التقريب، وكان دوماً مع أصحابه في العمل والفكر يحثّ الخطىٰ نحو التقريب.

في إحدىٰ الاجتماعات اقترح إطلاق اسم المذاهب الإسلاميّة بدل الفرقة والطائفة؛ إذ السنّة والشيعة شركاء في مجتمع واحد.

وعندما أصبح معاوناً لجامعة الأزهر استمرّ في تعاونه مع دار التقريب،

(١) الشيخ محمود شلتوت (رائد التقريب): ٢٠٩.
(٢) المصدر المتقدّم: ٢١٣.

وحينما أصبح رئيساً للأزهر أصدر فتواه التاريخيّة بشأن المذاهب الإسلاميّة وجواز اتّباع المذهب الإمامي »(١).

مصنّفاته

استطاع الشيخ محمود شلتوت أن يصنّف أكثر من عشرين كتاباً ومقالة علميّة، طيلة أيّام حياته المباركة، وأن يقدّمها إلىٰ المجامع العلميّة المختلفة، وبذلك خلّف تراثاً خالداً لينتفع به عطاشىٰ المعرفة.

وهذه كتبه:

١ ـ تفسير القرآن الكريم(*).

---

(١) المصدر السابق: ٢٠٠.

(*) اهتمّ الشيخ شلتوت ببيان التحريف الذي يحدث من البعض في فهم القرآن، فنراه يبيّن أنّ بعض الناظرين في القرآن يروّج لحصول التشاؤم، ويحرّف معنى بعض الآيات القرآنية، ليدلّل على ما يروّج له.

يقول الشيخ: « وقد تعلّق الناظرين في القرآن المروّجين لسنّة التشاؤم الفاسدة، بقوله تعالى في وصف العذاب الذي نزل بقوم عاد: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ [سورة القمر ٥٤: ١٩]، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ [سورة فصّلت ٤١: ١٦]، ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً﴾ [سورة الحاقّة ٦٩: ٦ ـ ٧]. وقالوا: إنّ القرآن يرشد بهذه الآيات إلى أنّ الأيّام نحساً وسعوداً، وأيّدوا بهذه الآيات ما نسبت روايته عن النبي ﷺ لابن عبّاس رضي الله عنه: « آخر أربعاء في الشهر يوم نحس مستمرّ ».

ثمّ قال الشيخ محمود شلتوت: « وقد عرض الآلوسي في تفسيره للروايات التي افتعلت ترويجاً للتشاؤم بالأيّام وللتفاؤل بها. ويعجبني قوله في هذا المقام: ويكفي في هذا الباب أنّ حادثة عاد استوعبت أيّام الأُسبوع كلّها، فقد قال سبحانه: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً﴾، فإن كانت نحوسة الأيّام لذلك فقل لي: أيّ يوم من الأُسبوع خلا منها؟ ».

←

. . . .

← قال الشيخ: «والحقّ ـ كما قال ـ أنّ كلّ الأيّام سواء، ولا اختصاص ليوم بنحوسة ولا لآخر بسعد، وأنّه ما من ساعة من الساعات إلّا وهي سعد على شخص، ونحس على آخر، باعتبار ما يقع فيها من الخير على هذا، ومن الشرّ على ذاك. فإن استنحس يوم من الأيّام لوقوع حادث فيه فليستنحس كلّ يوم لما يقع في الأيّام كلّها من أحداث، وما أولج الليل في النهار والنهار في الليل إلّا لإيلاد الحوادث، ولا تأثير لما يقع فيها من أحداث، ولا شأن للوقت أو المكان أو الأشياء في نحوسة أو سعود. نعم، لبعض الأوقات شرف ترجع إليه في نظر الشرع مضاعفة الجزاء لعاملي الخير أو الشرّ، ولكن شرف الأوقات الذي يضاعف به جزاء العاملين شيء، ونحوستها وسعودها باعتبار ذاتها وعلى وجه يعمّ الناس جميعاً شيء آخر، لا يعرفه الإسلام، ولا يبيح لأحد أن ينسبه إليه».

ويبيّن الشيخ أنّ الروح لا تزال حقيقتها من الأمور الغيبية التي لم يتوصّل الإنسان إلى معرفتها، إلّا أنّ هذا ليس مانعاً من البحث عن حقيقتها، فلم يقم دليل على تحريم البحث بشأنها.

يقول الشيخ: «فلا تزال حقيقتها من الغيب الذي لم يكشفه الله للإنسان، وهي في ذلك ككثير ممّا ينتفع به الإنسان بآثاره دون أن يعرف كنهه، وباب البحث عن حقيقتها مفتوح لم يمنع منه نصّ ديني، ولا حجّة للقائلين بحرمة البحث عنها في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [سورة الإسراء ١٧: ٨٥].

فقد رجّح بعض العلماء أنّ المراد منها في الآية القرآن نفسه، وقد سمّاه الله روحاً: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [سورة الشورى ٤٢: ٥٢]، وسابق الآية ولاحقها يرشد إلى صحّة هذا الرأي.

وإذن فلا يتعيّن أن يكون المسؤول عنه هو روح الحياة، على أنّه لو كان هو روح الحياة فليس في الآية أكثر من أنّها من أمر الله، وهو لا يمنع البحث عن حقيقتها».

ويرى الشيخ شلتوت أنّ معنى «القدر» الذي جاء في القرآن ليس معناه كما يفهم كثير من الناس.. فيبيّن الشيخ محمود شلتوت أنّ كثيراً من الناس يفهمون كلمة «القدر» التي وردت في القرآن الكريم على معنى أنّ الإنسان لا اختيار له في أفعاله، والصحيح غير ذلك.

يقول الشيخ: «القدر الذي جاء في القرآن الكريم مضافاً إلى الله، مثل قول: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [سورة القمر ٥٤: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [سورة
←

. . . .

→ الحجر ١٥ : ٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [سورة الأعلى ٨٧: ٣]، وغير ذلك، يرجع معناه إلى: أنّ الله خلق هذا الكون على سنن مضبوطة ومقادير معيّنة، ولم يكن صادراً عن طريق الصدفة التي لا تعتمد على نواميس يجري عليها ويسير على مقتضاها ويؤدّي بها مهمّته، ولا توجد في القرآن كلمة «قدر» بالمعنى الذي يفهمه كثير من الناس، والذي يرجع إلى أنّ الانسان مجبور في أفعاله بحيث يكون مقهوراً عليها.

والقدر بالنسبة للإنسان معناه: أنّه خلقه بإرادة وحرّيّة واختيار فيما كلّفه به من أعمال الخير، والبعد عن أعمال الشرّ، وكلّ نصوص القرآن تدلّ على ذلك دلالة واضحة، واختيار الإنسان أساس لتكليفه ومحاسبته، ومحال أنّه يكون مجبوراً على فعله ثمّ يكلّف ويثاب أو يعاقب على ما لا يستطيع صرف نفسه عنه، وعلم الله بما سيكون من الإنسان باختباره وإرادته يحقّق معنى الاختيار وينفي القهر والجبر، صفة العلم صفة كشف وليست صفة تأثير».

ويرى وجوب تنقية التفسير من الإسرائيليات، وذكر مثالاً للإسرائيليات: ما قيل عند تفسير قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [سورة النمل ٢٧ : ٨٢]، قال الشيخ: «ومن أغرب ما قيل في حقيقتها: إنّها إنسان وإنّه علي ﷺ، وقيل: إنّها ولد ناقة صالح فرّ هارباً حينما عقر القوم أمّه، وانفتحت له في طريقه صخرة فدخلها، ثمّ انطبقت عليه، فهو في باطنها إلى أن يخرج قرب يوم القيامة، وقيل: إنّها دابّة قديمة خلقت في عهد الأنبياء المتقدّمين، وإنّ موسى سأل ربّه أن يريه إيّاها، فأخرجها ثلاثة أيّام ولياليها، تذهب في السماء لا يرى واحد من طرفيها، فرأى ﷺ منظراً فظيعاً، فقال: «يا ربّ، ردّها» فردّها، أو: إنّها هي الثعبان الذي كان في جوف الكعبة، واختطفته العقارب حينما أرادت قريش بناء البيت الحرام، فمنعهم، فألقته العقارب بالحجون، فالتقمته الأرض وهو في باطنها حتّى يخرج يوم القيامة».

قال الشيخ: «وقد فات المفسّرين أن يضعوا حدّاً لصون التفسير عن هذه الإسرائيليات التي أظلمت الجوّ على طلّاب الهداية القرآنية، وشغلتهم عن اللبّ والجوهر بما أُلصقته بالقرآن، وقصروا جهودهم على النبيّين فيما أُلصق.

وليس هذا خاصّاً بالدابّة، وإنّما هو ريح السموم هبّت على كتب التفسير من نواح كثيرة في كلّ أمر غيبي أخبر به القرآن، ولم يتّصل به بيان قاطع عن الرسول ﷺ! فقد قيل مثله في: يأجوج ومأجوج، وفي الصور، وفي اللوح المحفوظ، وفي غيرها.

←

. . . .

← وقد تتبّع بعض المفسّرين غرائب الأخبار التي ليس لها سند صحيح، وأغدقوا من شرّها على الناس وعلى القرآن! وكان جديراً بهم أن يقيموا بينها وبين الناس سدّاً يقيهم البلبلة الفكريّة فيما يتّصل بالغيب الذي استأثر الله بعلمه، ولم ير فائدة لعباده في أن يطلعهم على شيء منه، وإذا كان للناس بطبيعتهم ولع بسماع الغرائب وقراءتها، فما أكثر أثرها في إلهائهم عن التفكير النافع فيما تضمّنه القرآن من آيات العقائد والأخلاق وصالح الأعمال.
والذي أحبّ أن أقرّره هنا بهذه المناسبة فيما أخبر الله به من شؤون الغيب التي لم يتّصل بها بيان قاطع عن الرسول من الدابّة والصور ونحوهما، هو: أنّنا نؤمن به على القدر الذي أخبر الله به دون صرف اللفظ عن معناه، ودون زيادة عمّا تضمّنه الخبر الصادق، فنؤمن ـ مثلاً ـ بأنّه سيكون في آخر الدنيا صور ينفخ فيه، فتكون صعقة، ثم ينفخ فيه أخرى فيكون البعث، أمّا الخوض في حقيقته ومقداره، وكيفية النفخ فيه، أو حمله على أنّه تمثيل السرعة إفناء العالم وبعثه بسرعة النفخة المعروفة للناس، فإنّه رجم بالغيب، وتقوّل على الله بغير حقّ».
ويرى الشيخ أنّه ليس في القرآن ما يفيد رفع عيسى بجسمه إلى السماء، يقول الشيخ: «ليس في القرآن الكريم ولا في السنّة المطهّرة مستند يصلح لتكوين عقيدة يطمأن إليها القلب بأنّ عيسى رفع بجسمه إلى السماء، وأنّه سينزل منها آخر الزمان إلى الأرض، وأنّ كلّ ما تفيده الآيات الواردة في هذا الشأن هو وعد الله عيسى بأنّه متوفّيه ورافعه إليه وعاصمه من الذين كفروا، وأنّ هذا الوعد قد تحقّق، فلم يفعله أعداؤه ولم يصلبوه، ولكن وفّاه الله أجله ورفعه إليه».
ثمّ قال الشيخ: «إنّ من أنكر أنّ عيسى قد رفع بجسمه إلى السماء وأنّه فيها حيّ إلى الآن وأنّه سينزل منها آخر الزمان، فإنّه لا يكون بذلك منكراً لما ثبت بدليل قطعي، فلا يخرج عن إسلامه وإيمانه، ولا ينبغي أن يحكم عليه بالردّة، بل هو مسلم مؤمن، إذا مات فهو من المؤمنين، يصلّى عليه كما يصلّى على المؤمنين، ويدفن في مقابر المؤمنين، ولا شبهة في إيمانه عند الله، والله بعباده خبير بصير».
الفتوى تثير ضجّة على الشيخ:
بعد أن نشرت هذه الفتوى من الشيخ محمود شلتوت في مجلّة «الرسالة» قامت ضجّة من بعض العلماء بردودهم على الشيخ في فتواه، وردّ الشيخ عليهم، وبيّن ضعف ما استندوا إليه، ووضّح أنّ في كتب التراث رأيين في هذه القضية مبيّناً مصادره في هذه الكتب، كما
←

....

→ ذكر ما يراه جماعة من علماء العصر الحديث لهم مكانة في العلم كبيرة، فذكر أنّ الشيخ محمّد عبده قال ـ وهو بصدد تفسير آية سورة آل عمران: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [سورة آل عمران ٣: ٥٥] ـ: «إنّ للعلماء هنا طريقتين: إحداهما ـ وهي المشهورة ـ: أنّه رفع بجسمه حيّاً، وأنّه سينزل في آخر الزمان، فيحكم بين الناس بشريعتنا، ثمّ يتوفّاه الله تعالى، والطريقة الثانية: أنّ الآية على ظاهرها المتبادر منه، وهو الإماتة العاديّة، وأنّ الرفع يكون بعده، وهو رفع الروح».
ثمّ قال الشيخ شلتوت: «ثمّ يذكر [يعني: الشيخ محمّد عبده]: أنّ لأهل هذه الطريقة في أحاديث الرفع والنزول تخريجين: أحدهما: أنّها آحاد تتعلّق بأمر اعتقادي، والأمور الاعتقاديّة لا يؤخذ فيها إلّا بالقطعي، وليس في الباب حديث متواتر، وثانيهما: تأويل النزول».
ثمّ ذكر ما يراه الشيخ محمّد رشيد رضا، وهو قوله: «وجملة القول: إنّه ليس في القرآن نصّ صريح في أنّ عيسى رفع بروحه وجسده إلى السماء حيّاً حياة دنيويّة بحيث يحتاج بحسب سنن الله إلى غذاء... وليس فيه نصّ صريح بأنّه ينزل من السماء، وإنّما هي عقيدة أكثر النصارى، وقد حاولوا في كلّ زمان منذ ظهور الإسلام بثّها في المسلمين»، ثمّ تكلّم الشيخ محمّد رشيد رضا عن الأحاديث، وقال: إنّ هذه المسألة من المسائل الخلافية حتّى بين المنقول رفع المسيح بروحه وجسده إلى السماء».
وبعدها ذكر الشيخ شلتوت ما أجاب به الشيخ المراغي شيخ الأزهر الشريف عن سؤال رفع إليه، وجاء في إجابته قوله: «ليس في القرآن الكريم نصّ صريح قاطع على أنّ عيسى عليه السلام رفع بجسمه وروحه، وعلى أنّه حيّ الآن بجسمه وروحه، وقول الله سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سورة آل عمران ٣: ٥٥] الظاهر فيه أنّه توفّاه وأماته ثمّ رفعه، والظاهر من الرفع بعد الوفاة أنّه رفع درجات عند الله، كما قال في إدريس عليه السلام: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ [سورة مريم ١٩: ٥٧]؛ وهذا الظاهر ذهب إليه بعض علماء المسلمين، فهو عند هؤلاء توفّاه الله وفاة عاديّة، ثمّ رفع درجاته عنده، فهو حيّ حياة روحية كحياة الشهداء وحياة غيره من الأنبياء. لكن جمهور العلماء على أنّه رفعه بجسمه وروحه، فهو حيّ الآن بجسمه وروحه، وفسّروا الآية بهذا بناءً على أحاديث وردت، كان لها عندهم المقام الذي يسوّغ تفسير القرآن بها». ثمّ قال الشيخ المراغي: «ولكن هذه ←

نشر: مجمع التقريب بين المذاهب الإسلاميّة / طهران / ١٣٧٩ هـ.ش.

وفي الحقيقة أنّ هذا الكتاب هو سلسلة مقالات نشرت في مجلّة «رسالة الإسلام» طيلة (١٤) سنة، ثمّ جمعت ونشرت في كتاب مستقلّ.

وطريقة هذا التفسير تختلف عن طريقة تفسير الشيخ محمّد عبده، والذي له اتّجاه «علمي ـ عقلي»، ولتفسير الشيخ شلتوت اتّجاه «تاريخي ـ نقلي»[(١)].

جاء في المقدّمة التي كتبها الدكتور محمّد البهي لتفسير الشيخ شلتوت:

«إنّ هذا التفسير الذي نقدّمه اليوم للمسلمين تفسير لكلّ المسلمين، ليس لمذهب معيّن من المذاهب الفقهيّة، وليس للون من ألوان العقائد الكلاميّة، وليس لتوجيه خاصّ من توجيهات أهل الظاهر أو أهل الباطن».

ويقول عن طريقة الشيخ في تفسير القرآن:

«طريقته أنّه كان يجعل كلّ سورة بشكل واحد متّصل، وبعدها يوضّح أهدافها والعبر والأُصول الإنسانيّة المستفادة منها. وهو في تفسيره هذا لم يُدخل على القرآن أيّ نظريّة أو إصلاحيّة من مصدر خارج القرآن، وبالنتيجة فإنّ كلمات القرآن تفسّر بعضها بعضاً، ويجعل القرآن حرّاً في أدلّته، ولا يحمّله كلّ ما قد يُراد منه».

وخلاصة القول: إنّ أهمّ خصائص تفسير شلتوت هي:

١ ـ إنّه يعرض ويشرح في أوّل السورة أصل موضوع البحث.

→ الأحاديث لم تبلغ درجة الأحاديث المتواترة التي توجب على المسلم عقيدة، والعقيدة لا تجب إلّا بنصّ من القرآن أو بحديث متواتر». ثمّ قال: «وعلى ذلك فلا يجب على المسلم أن يعتقد أنّ عيسى عليه السلام حيّ بجسمه وبروحه، والذي يخالف في ذلك لا يعدّ كافراً في نظر الشريعة». (الإمامان البروجردي وشلتوت رائدا التقريب: ٢٠٦ ـ ٢١١).

(١) أُطروحة القرآن الكريم ٢: ١٣٣١.

٢ ـ إنّه خالٍ من كلّ أنواع الإسرائيليّات، والموضوعات، والروايات الضعيفة.

٣ ـ إنّه يشتمل علىٰ آراء المذاهب والفرق المختلفة.

٤ ـ إنّه يستخدم النظريات العلميّة الحديثة علىٰ أساس القرآن.

٥ ـ إنّه خالٍ من أيّ نوع من التعصّب المذهبي.

٦ ـ إنّه بقلم أدبيّ عربي عالٍ.

يقول الشيخ شلتوت عن هذه الخصائص المميّزة لطريقته في التفسير:

«نحن مضينا في تفسيرنا هذا علىٰ طريقة لم يألفها الناس ولم يتعوّدوا عليها»(١).

وعندما تمّ تفسير القرآن الذي كتبه الشيخ شلتوت وطُرح في الأسواق، تلقّاه المفكّرون والعلماء المسلمون بالعناية والتقدير، وقد أعرب آية الله الشيخ مرتضىٰ آل ياسين(٢) ـ وهو من كبار علماء النجف الأشرف ـ في رسالة له عن احترامه وتقديره لهذا التفسير، وهاك بعض ما ورد في هذه الرسالة:

---

(١) مجلّة أخبار التقريب / العددان: ٤٩ و ٥٠ / صفحة: ٣٣.

(٢) مرتضىٰ آل ياسين: من كبار علماء أُسرة آل ياسين. ولد بتاريخ ٢٥ / ذي الحجّة / ١٣١١ هـ في الكاظمية، والده آية الله الشيخ عبد الحسين آل ياسين، وهو من كبار علماء النجف، ومن تلامذة المجدّد الكبير الميرزا الشيرازي، والسيّد إسماعيل الصدر. هاجر الشيخ مرتضىٰ إلىٰ النجف الأشرف، بعد اجتيازه مرحلة المقدّمات في الكاظمية، وواصل دراسته علىٰ يد كبار الأساتذة العلماء، مثل: السيّد أبي الحسن الأصفهاني، والمحقّق النائيني. وبعد مدّة نال درجة الاجتهاد، ثمّ شرع في تدريس دروس البحث الخارج.. من مؤلّفاته: السؤال والجواب، نظرة دامعة، تعليقة على بلغة الراغبين. توفّي سنة ١٣٩٧ هـ في النجف الأشرف، ودُفن في مقبرة أُسرة آل ياسين. (الذريعة ٢٤: ١٩٦، شعراء الغري ١١: ٢٥٥ ـ ٢٦٧، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٤٧٧ ـ ٤٧٨).

«إذا استطعت أن أُخفي عليك شيئاً فلن أتمكّن من إخفاء إعجابي وتقديري للبحوث التفسيريّة التي جاءت نتيجة جهود العلّامة شلتوت، وقد اغتنمت الفرصة لتخصيص بعض أوقاتي لقراءة ومراجعة هذا التفسير. ورجائي أن يوفّق الأُستاذ الفاضل، ويستمرّ في هذه البحوث القيّمة، وبهذا الأُسلوب الجديد. وإذا لم يكن عند مجلّة «رسالة الإسلام» موضوع إلّا هذا التفسير الممتاز لكفاها فخراً وعزّة ورفعة، وكان مناسباً بحقٍّ وضع هذا التفسير أمام أعين القرّاء في مقدّمة مقالاتها»[1].

٢ ـ مقارنة المذاهب في الفقه.

وموضوعه ـ كما هو الظاهر من عنوانه ـ التقريب بين المذاهب الإسلاميّة، وقد بحث العلّامة شلتوت في هذا الكتاب في الفقه المقارن؛ بعرضه الآراء الفقهيّة لجميع المذاهب في المسألة الفقهيّة الواحدة، ثمّ الرأي الفقهي المختار المتناسب مع الزمان والمكان، مع أدلّته وبراهينه[2].

٣ ـ من توجيهات الإسلام.

من مطبوعات الإدارة العامة للثقافة الإسلاميّة / ١٩٥٩ م.

يتعرّض الشيخ محمود شلتوت في هذا الكتاب إلى تصحيح وتوضيح بعض المفاهيم الدينيّة، وبيان مواقف الدين الإسلامي بخصوص بعض المشاكل الأخلاقيّة في المجتمع.

وبعض فصول الكتاب بعناوين: الناس والدين، الأخلاق، في مزرعة المجتمع، ذكريات إسلاميّة.

---

(١) الشيخ محمود شلتوت (رائد التقريب): ٥٣.
(٢) مجلّة أخبار التقريب / العددان: ٤٥ و٤٦ / صفحة: ٣٠.

ترجمه إلىٰ الفارسية السيّد خليل خليليّان، ونشرته شركة «سهامى» للنشر في طهران سنة ١٣٤٤ هـ. ش.

٤ ـ الفتاوىٰ.

طبع للمرّة الثامنة عشرة نشر دار الشروق / القاهرة / سنة ١٤٢١ هـ. ق.

وهذا الكتاب مجموعة إجابات الشيخ شلتوت لأسئلة وُجّهت إليه طيلة حياته، ومواضيع الكتاب تضمنّت أهمّ الأسئلة والمشاكل التي لها دور مؤثّر في حياة المسلمين الاجتماعيّة، وقد سعىٰ العلّامة شلتوت أن يسند إجاباته بالقرآن، والحديث الصحيح، والسيرة النبويّة الشريفة.

ويعدّ هذا الأثر من أهمّ آثار العلّامة في العالم الإسلامي، وقد لاقىٰ اهتماماً كبيراً عند إخوتنا أهل السنّة في البلدان الإسلاميّة المختلفة.

٥ ـ من هدي القرآن.

نشر: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر / القاهرة، في (٣٦٠) صفحة.

هيكليّة هذا الكتاب في خمسة فصول بعناوين: إلىٰ القرآن الكريم، منهج القرآن في بناء المجتمع، القرآن والمرأة، الإسلام والعلاقات الدوليّة، السلم والحرب.

٦ ـ الإسلام عقيدة وشريعة(*).

(*) **أفكار الشيخ شلتوت في علم الكلام:**

أوّلاً: يرى ـ ككثير من العلماء ـ أنّ العقيدة لا تثبت إلّا بالمتواتر.

بيّن الشيخ شلتوت في كتاباته أنّ العلماء متّفقون على أنّ الدليل العقلي الذي سلّمت مقدّماته وانتهت في أحكامها إلى الحسّ أو الضرورة يفيد ذلك اليقين ويحقّق الإيمان المطلوب.

وأمّا الأدلّة النقلية فالكثيرون من العلماء يرون أنّها لا تفيد اليقين، ولا تثبت بها وحدها ←

نشر: دار القلم / القاهرة.

هذا الكتاب من أهمّ كتب العلّامة شلتوت، ويقع في ثلاثة فصول بعناوين: العقيدة، الشريعة، مصادر الشريعة.

في الفصل الأوّل من هذا الكتاب يتعرّض العلّامة شلتوت لبحث مواضيع، مثل: بيان وتوضيح أُصول الإسلام (التوحيد، النبوّة، المعاد، القضاء والقدر،

← عقيدة.

والذين يرون أنّ الدلالة النقلية تفيد اليقين وتثبت بها العقيدة شرطوا أن يكون الدليل النقلي قطعياً في وروده قطعياً في ثبوته ودلالته..

قال: «ومعنى كونه قطعياً في وروده: أن لا يكون هناك أيّ شبهة في ثبوته عن الرسول ﷺ، وذلك إنّما يكون في المتواتر فقط، ومعنى كونه قطعياً في دلالته: أن يكون نصّاً محكماً في معناه، وذلك إنّما يكون فيما لا يحتمل التأويل، فإذا كان الدليل النقلي بهذه المثابة أفاد اليقين وصلح لأن تثبت به العقيدة».

وبعد أن ذكر الشيخ شلتوت أمثلة فيما ورد في الكتاب الكريم من آيات تحدّثت عن توحيد الله عزّ وجلّ، واليوم الآخر، والملائكة والنبيّين، قال: «هذا هو شأن العقائد وطرق إثباتها، ولابدّ أن يعمّ العلم بها جميع الناس، ولا يختصّ بطائفة دون أُخرى، ولأنّها أساس الدين، وبها يكون المرء مؤمناً، فكيف يتصوّر في مؤمن أن يجهلها؟ ومن مقتضيات هذا العلم العامّ بها أن لا يقع خلاف بين العلماء في ثبوتها أو نفيها».

ثانياً: يوافق من يرون من علماء الإسلام أنّ الإنسان خلق غير مقهور.

بيّن الشيخ شلتوت أنّ القضاء والقدر اللذين ورد في القرآن ذكرهما وجعلهما الناس مرتبطين بفعل الإنسان ومسلكه في الحياة ليسا إلّا النظام العامّ الذي خلق الله عليه الكون، وربط فيه بين الأسباب والمسبّبات والنتائج والمقدّمات، سنّة كونية دائمة لا تتخلّف، وكان من بين تلك السنّة أن خلق الإنسان حرّاً في فعله مختاراً غير مقهور ولا مجبور.

ويوضّح الشيخ شلتوت أنّ الإسلام لا يسمح أن يضلّ الإنسان أو ينحرف عن أوامر الله في عقائده ودينه، ثمّ يعتذر بالقضاء والقدر.. قال: «ولو صحّ ذلك لبطلت التكاليف، وكان بعث الرسل وإنزال الكتب، ودعوة الانسان إلى دين الله وما يجب، ووعده بالثواب لأهل الخير وبالعقاب لأهل الشرّ باطلاً وعبثاً، لا يتّفق وحكمة الخالق الحكيم في تصرّفه وتكليفه الرحيم بعباده». (الإمامان البروجردي وشلتوت رائدا التقريب: ٢١٢ ـ ٢١٣).

و...)، وفي الفصل الثاني: شرح العبادات، وأحكام خاصّة بالمجتمع: الأُسرة، الإرث،... وفي الفصل الثالث والأخير تناول مصادر التشريع: القرآن، السنّة، الرأي والنظر.

٧ـ إلىٰ القرآن الكريم.

نشر: دار الهلال / القاهرة.

يرىٰ الشيخ شلتوت في هذا الكتاب أنّ هدف القرآن يتمثّل في ثلاثة مواضيع: الأوّل: معرفة العقائد؛ لتصفية وتنقية القلب من الشرك وعبادة الأصنام، الثاني: الأخلاق؛ لتهذيب وتزكية النفس، ولرفع شأن الإنسان ومنزلته، والثالث: معرفة الأحكام؛ لتسيير أُمور الحياة السليمة للإنسان(١).

٨ـ يسألونك.

وهذا الكتاب إجابات عن أسئلة في شتّىٰ الموضوعات.

٩ـ منهج القرآن في بناء المجتمع.

١٠ـ المسؤوليّة المدنيّة والجنائيّة في الشريعة الإسلاميّة.

١١ـ القرآن والقتال.

١٢ـ القرآن والمرأة.

١٣ـ تنظيم العلاقات الدوليّة في الإسلام.

١٤ـ الإسلام والوجود الدولي للمسلمين.

١٥ـ تنظيم النسل.

١٦ـ رسالة الأزهر.

١٧ـ فقه القرآن والسُّنّة.

---

(١) إلىٰ القرآن الكريم (المقدّمة): ٦.

١٨ ـ القتال في الإسلام.
١٩ ـ حكم الشريعة في استبدال النقد بالهدي.
٢٠ ـ عنصر الخلود في الإسلام.
٢١ ـ هذا هو الإسلام.
٢٢ ـ الإسلام والتكافل الاجتماعي.
٢٣ ـ فصول شرعيّة اجتماعيّة.
٢٤ ـ فقه السنّة.
٢٥ ـ أحاديث الصباح في المذياع.

وفاته

وأخيراً انتقل هذا العالم الإسلامي الكبير إلىٰ دار البقاء بتاريخ ٢ / رجب / ١٣٨٣ هـ، تاركاً الحرقة في قلوب المسلمين والمجتمع الإسلامي لفقده.

وبعد وفاة هذا العالم الجليل الذي خطا خطوات كبيرة جدّاً في طريق التقريب بين المذاهب الإسلاميّة، أرسل بعض كبار الشخصيّات رسائل التعزيّة بوفاته..

وقد أرسل آية الله «آغا بزرك الطهراني»[1] صاحب الكتاب القيّم

---

(١) محسن بن علي بن محمّد رضا بن محمّد حسن المنزوي المعروف بأغا بزرك الطهراني، أحد مشاهير علماء الإمامية. ولد في طهران سنة ١٢٩٣ هـ، ودرس مبادئ العلوم، ثمّ قصد النجف الأشرف فواصل دراسته على يد: الشيخ أحمد الشيرازي، والميرزا النوري، والميرزا الشيرازي، وشيخ الشريعة الأصفهاني، والميرزا حسين الخليلي، وغيرهم. ←

«الذريعة» نيابة عن علماء النجف الأشرف رسالة تعزيّة إلىٰ رجال جماعة التقريب..

وفي ما يلي فقرات من هذه الرسالة:

«نعزّيكم بوفاة صديقكم الجليل وناصركم القديم في الجهاد والإصلاح العلّامة الفاضل المرحوم المغفور له الشيخ محمود شلتوت، شيخ الأزهر الشريف.

لقد عمل معكم بإخلاص، وكان له دور كبير في تأسيس دار التقريب بين المذاهب الإسلاميّة، وفي نشاطها الدؤوب، وكان من المصلحين المخلصين، وكلّ علماء النجف الأشرف الذين يعرفون هذه الشخصيّة الكبيرة تأثّروا لفقده.

ونيابة عن كلّ علماء النجف نقدّم تعازينا لكم ولعلماء الأزهر الشريف.

ندعو الله تعالىٰ أن يتغمّده ويسعه برحمته ورضوانه، ويُلهم أصدقاءه الصبر والسلوان، ويؤجرهم، ويرزق المسلمين مخلصين مثله؛ ليملؤوا مكانه الخالي، وليديموا نهجه الجهادي رحمه الله»(١).

← وتتلمذ لديه: السيّد محمّد حسن الطالقاني، والسيّد هاشم الحسيني السبزواري، والسيّد محمّد صادق بحر العلوم، وآخرون. من جملة كتبه: الذريعة، طبقات أعلام الشيعة، مصفى المقال، هديّة الرازي إلى المجدّد الشيرازي، وغيرها. توفّي في النجف عام ١٣٨٩ هـ. (معارف الرجال ٢: ١٨٦ ـ ١٨٩، أعيان الشيعة ١٠: ٤٧، معجم رجال الفكر والأدب ١: ٤٧ ـ ٤٨).

(١) الشيخ محمود شلتوت (رائد التقريب): ٢٧٥؛ نقلاً عن مجلّة «رسالة الإسلام» / العدد: ٥٦ / السنة: ١٤ / صفحة: ٣٤٢.

التكريم

أقام مجمع التقريب بين المذاهب الإسلاميّة ومركز الحوزة العلمية (قـم) مؤتمراً لتكريم شخصيّة وآثار وأفكار الشيخ شلتوت وآية الله البروجردي، في طهران وقم، ولمدّة يومين..

فـقد بـدأ بـتاريخ ١٩ / ١٠ / ١٣٧٩ هـ. ش، واسـتمرّ إلىٰ ٢١ / ١٠ / ١٣٧٩ هـ. ش، وكان مناسبةً لتجديد العهد بين علماء الفريقين.

وقد شارك في هذا المؤتمر وفد علمي من مصر بـرئاسة الشـيخ مـحمود عبـد الغني عاشور معاون الأزهر، وممّن حضر المؤتمر من الشخصيّات المصريّة الكبيرة: الأُستاذ الدكتور نصر فريد محمّـد واصل مفتي مصر الأعظم، وقد قـدّم للمؤتمر مقالة علميّة عن حياة الشيخ محمود شلتوت[1].

وأُلقيت في بداية المؤتمر كلمة سماحة السـيّد القـائد الخـامنئي بـمناسبة انعقاده، ولأهمّية ما ورد في هذه الكلمة من مباحث، ومن أجل الاطّلاع علىٰ رأي سماحة السيّد القائد في الشيخ شلتوت، نورد نصّها الكامل في ما يلي:

«الحمد لله الذي وفّقكم أيّها المعدّون المحترمون لهـذا المـؤتمر الخـاصّ بتكريم هذين الرجلين الكبيرين، اللذين لهما سهم كبير في التقريب بين المذاهب الإسلاميّة لا يمكن نسيانه، هذان العالمان البارزان، أحدهما: فقيه عصره ومرجع الطائفة الشيعيّة الأعلىٰ في زمانه، والآخر: الفقيه والمفتي الكبير لأهـل السـنّة، رئيس الأزهر الشريف، الشجاع المفكّر، العلّامة الشيخ شلتوت.

تكريم هذين العالمين المعروفين في العالم الإسلامي ليس مجرّد تكـريم

---

(١) روزنامه جمهوري إسلامي (صـحيفة الجـمهوريّة الإسـلاميّة) / (١٩ / ١٠ / ١٣٧٩ هـ. ش) / العدد الخاصّ / صفحة: ٩.

لإنسانين كبيرين فحسب، بل تكريم لما قدّماه من خدمات عظيمة للأُمّة الإسلاميّة، وهو الهدف الأصلي لهذا المؤتمر.

والعالم الإسلامي اليوم ـ وهو من أكبر المجاميع العالميّة من ناحية الثروات المادّيّة والإنسانيّة والفكريّة والتاريخيّة ـ يحتاج إلىٰ الوحدة والتقريب أكثر من أيّ وقت مضىٰ.

وإذا كان هدف وأمل كلّ مسلم نصوح وغيور هو تركيز وتوجيه الجهود والإمكانات وتوظيفها في سبيل نجاة الأُمّة الإسلاميّة، فيجب أن يعلم أنّ ذلك لا يتحقّق إلّا في ظلّ تقريب القلوب والأفكار والمعتقدات.

وهذه الحقيقة أدركها هذان العالمان الكبيران قبل نصف قرن، وجاهدا من أجلها، ولو أنّ رجال العلم والسياسة واصلوا هذه الجهود بجدّ وإخلاص لَما شهد العالم الإسلامي اليوم النتائج المحزنة لاختلاف المسلمين، ولعلّ مصيبة فلسطين وهذه الأوضاع المحزنة لم تصب العالم الإسلامي بهذا الشكل المرعب والمؤلم.

في تلك الأيّام كانت همّة وعزيمة المرجع الشيعي الأعلىٰ وشجاعة وتحرّر مفتي مصر الكبير خطوة كبيرة ومتناسبة مع احتياج الزمان، واليوم أيضاً يتحمّل الكبار والمفكّرون وعلماء الدين والمثقّفون والمُفتون والسياسيّون مسؤولية كبيرة في هذا الطريق، وعلىٰ مجمع التقريب بين المذاهب الإسلاميّة في طهران أن يفكّر بإعداد عمل كبير وخالد، كما فعل دار التقريب في القاهرة..

إنّ موجات تخريب العلاقات بين المذاهب والشعوب خرجت من مراكز الفتن في داخل وخارج العالم الإسلامي، واستهدفت التشتّت وبثّ الفُرقة الدائمة بين الشعوب والمذاهب الإسلاميّة، والجهاد الخالص في وجه موجات الفتن هذه

واجبٌ عمومي، وخاصّة علىٰ المثقّفين والمفكّرين.

والتمسّك بالقرآن والسنّة النبويّة القطعيّة، مثل: حديث الثقلين، واتّباع أهل البيت عليهم السلام، سيفتح أمامنا طريقاً واضحاً.

وأسأل الله تعالىٰ أن يوفّقني وإيّاكم وكلّ العلماء والأُمّة الإسلاميّة أن نسير علىٰ هذا الطريق.

وفي النهاية أرىٰ من الواجب أن أشكر جهود المعدّين لهذا المؤتمر، وأطلب الرحمة والمغفرة لروح العلّامة الشيخ محمّد تقي القمّي، مؤسّس دار التقريب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

السيّد علي الخامنئي
١٨ / دي ماه / ١٣٧٩ هـ. ش
١١ / شوّال / ١٤٢١ هـ»[١].

(١) مجلّة أخبار التقريب / العدد: ٣٤ / صفحة: ٧.



فهرس المصادر

فهرس المصادر

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ اتّحاد المذاهب الإسلاميّة. مترجم بعنوان: «همبستگي مذاهب إسلامي» .

تأليف: مجموعة من الباحثين / ترجمة: كريم بي‌آزار شيرازي / نشر: منظّمة الثقافة والعلاقات الإسلاميّة ـ طهران .

٣ ـ الأخلاق. مترجم بعنوان: «أخلاق» .

تأليف: محمود شلتوت المتوفّى سنة ١٣٨٣ هـ / ترجمة: خليل خليليان / نشر: شركة سهامي ـ طهران.

٤ ـ الأزهر في ألف عام.

تأليف: د. محمّد عبد المنعم الخفّاجي / نشر: عالم الكتب ـ بيروت ومكتبة الكلّيات الأزهرية ـ القاهرة / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٨ هـ.

٥ ـ الإسلام عقيدة وشريعة.

تأليف: محمود شلتوت المتوفّى سنة ١٣٨٣ هـ / نشر: دار الشروق ـ القاهرة وبيروت / الطبعة السابعة عشرة ـ ١٤١١ هـ.

٦ ـ إسلام ويادبودها (الإسلام والذكريات).

تأليف: محمود شلتوت المتوفّى سنة ١٣٨٣ هـ / ترجمة: خليل خليليان / نشر: شركة سهامي ـ طهران .

٧ ـ أُطروحة القرآن الكريم. مترجم بعنوان: «دانشنامه قرآن وقرآن پژوهي».

تأليف: بهاء الدين خرّمشاهي / نشر: دوستان / الطبعة الأُولى ـ ١٣٧٧ هـ. ش .

٨ ـ الأعلام الشرقيّة.

تأليف: زكي محمّد مجاهد / نشر: دار الغرب الإسلامي ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٩٩٤م .

٩ ـ الأعلام للزركلي: الأعلام .

تأليف: أبي الغيث خير الدين الزِركْلي المتوفّىٰ سنة ١٣٩٦ هـ / نشر: دار العلم للملايين ـ بيروت / الطبعة الثامنة ـ ١٩٨٩ م.

١٠ ـ أعيان الشيعة .

تأليف: محسن بن عبد الكريم الأمين العاملي المتوفّىٰ سنة ١٣٧١ هـ / تحقيق: حسن محسن الأمين العاملي / نشر: دار التعارف ـ بيروت / ١٤٠٣ هـ.

١١ ـ الإمامان البروجردي وشلتوت رائدا التقريب (مجموعة مقالات).

إعداد: المعاونيّة الثقافيّة للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة / نشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة ـ طهران / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٥ هـ.

١٢ ـ إلى القرآن الكريم.

تأليف: محمود شلتوت المتوفّى سنة ١٣٨٣ هـ / نشر: معاونيّة العلاقات الدوليّة في منظّمة الإعلام الإسلامي ـ طهران / ١٤٠٥ هـ.

١٣ ـ بر آورد إستراتژيك مصر (بناءً على الجغرافية المصرية) .

نشر: المؤسّسة الثقافيّة للدراسات والتحقيقات العالميّة بإيران ـ طهران / ١٣٨١ هـ. ش .

١٤ ـ بررسي وتحليلي أز نهضت إمام خميني (بحث وتحليل حول ثورة الإمام الخميني).

تأليف: حميد روحاني زيارتي / نشر: مركز أسناد الثورة الإسلاميّة ـ طهران .

١٥ ـ تاج العروس: تاج العروس من جواهر القاموس .

تأليف: محبّ الدين أبي الفيض محمّد بن محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق بن مرتضىٰ الحسيني الزَبيدي الحنفي المتوفّىٰ سنة ١٢٠٥ هـ / تحقيق: عبد الستّار أحمد فرّاج / نشر: دار الهداية ـ الكويت / ١٣٨٥ هـ.

١٦ ـ **تراجم الرجال.**

تأليف: أحمد الحسيني / نشر: مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / ١٤١٤ هـ.

١٧ ـ **تهذيب اللغة.**

تأليف: أبي منصور محمّد بن أحمد الأزهري المتوفّىٰ سنة ٣٧٠ هـ / تحقيق: عمر سلامي وعبد الكريم حامد / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢١ هـ.

١٨ ـ **الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث .**

تأليف: حنّا الفاخوري / نشر: دار الجيل ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٩٩٥ م.

١٩ ـ **الجامع لأحكام القرآن .**

تأليف: أبي عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفّىٰ سنة ٦٧١ هـ / تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / الطبعة الثانية.

٢٠ ـ **حديث الثقلين للوشنوي: حديث الثقلين.**

تأليف: قوام الدين الوشنوي ومحمّد الواعظ الخراساني / نشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة ـ طهران / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٦ هـ.

٢١ ـ **الخلاف: الخلاف في الأحكام، أو: مسائل الخلاف .**

تأليف: أبي جعفر محمّد بن الحسن بن علي الطوسي المعروف بشيخ الطائفة المتوفّىٰ سنة ٤٦٠ هـ / تحقيق: جواد الشهرستاني وعلي الخراساني الكاظمي ومحمّد مهدي نجف / نشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / ١٤٠٩ هـ.

٢٢ ـ **دائرة المعارف الإسلاميّة .**

تأليف: مجموعة من الباحثين الأجانب / تعريب: أحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس / مراجعة: د. محمّد مهدي علّام / نشر: دار الفكر ـ بيروت.

٢٣ ـ الدرّ المنثور: الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور .

تأليف: جلال الدين عبدالرحمان بن أبي بكر الكمال بن محمّد بن سابق الدين الخضيري السيوطي الشافعي المتوفّى سنة ٩١١ هـ / نشر: محمّد أمين دمج ـ بيروت .

٢٤ ـ دروس الفقه المقارن.

تأليف: محمّد إبراهيم الجنّاتي / نشر: مجمع الشهيد الصدر ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤١١هـ.

٢٥ ـ دول الإسلام .

تأليف: شمس الدين أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفّىٰ سنة ٧٤٨ هـ / تحقيق: فهيم محمّد شلتوت ومحمّد مصطفىٰ إبراهيم / نشر: الهيئة المصرية العامّة للكتاب ـ مصر / ١٩٧٤ م.

٢٦ ـ الذريعة: الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة .

تأليف: محسن أغا بزرك الطهراني المتوفّىٰ سنة ١٣٨٨ هـ / نشر: دار الأضواء ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٣ هـ.

٢٧ ـ روابط خارجي إيران (علاقات إيران الخارجيّة) من سنة ١٣٢٠ ـ ١٣٥٧ هـ ش .

تأليف: علي رضا أزغندي / نشر: طوس / ١٣٧٦ هـ . ش .

٢٨ ـ روابط عالم إسلامي (علاقات العالم الإسلامي).

نشر: إيران.

٢٩ ـ روّاد التقريب (محمّد عبده). مترجم بعنوان: «طلايه داران تقريب محمّد عبده» .

تأليف: مهدي أحمدي / نشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة ـ طهران / الطبعة الأُولى ـ ١٣٨٣ هـ . ش .

٣٠ ـ روزنامه اطّلاعات (صحيفة اطلاعات).

نشر: إيران.

٣١ـ روزنامه جمهوري إسلامي (صحيفة الجمهوريّة الإسلاميّة).

نشر: إيران.

٣٢ـ روزنامه رسالت (صحيفة الرسالة).

نشر: إيران.

٣٣ـ روزنامه كيهان (صحيفة كيهان).

نشر: إيران.

٣٤ـ سنن الدارمي: السنن .

تأليف: أبي محمّد عبد الله بن عبد الرحمان بن الفضل بن بهرام الدارمي التميمي السمرقندي المتوفّىٰ سنة ٢٥٥ هـ / نشر: دار الفكر ـ القاهرة / ١٣٩٨ هـ.

٣٥ـ السنن الكبرىٰ للبيهقي: السنن الكبرىٰ .

تأليف: أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي النيسابوري المتوفّىٰ سنة ٤٥٨هـ / نشر: دار المعرفة ـ بيروت.

٣٦ـ شعراء الغري: شعراء الغري، أو: النجفيّات .

تأليف: علي الخاقاني النجفي / نشر: مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / ١٤٠٨هـ / أُفست عن المطبعة الحيدرية ـ النجف / ١٣٧٣ هـ.

٣٧ـ الشيخ محمود شلتوت رائد التقريب. مترجم بعنوان: «شيخ محمود شلتوت طلايه دار تقريب».

تأليف: كريم بي آزار شيرازي / نشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة ـ طهران / ١٣٧٩ هـ. ش .

٣٨ـ صحاح اللغة: تاج اللغة وصحاح العربيّة .

تأليف: أبي نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري المتوفّىٰ سنة ٣٩٣ هـ / تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار / نشر: دار العلم للملايين ـ بيروت / الطبعة الرابعة ـ ١٤٠٧ هـ.

٣٩ ـ صحيح البخاري: الصحيح.
تأليف: أبي عبدالله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي المتوفّىٰ سنة ٢٥٦ هـ / تحقيق: د. مصطفىٰ ديب البُغا / نشر: دار ابن كثير ودار اليمامة ـ دمشق وبيروت / الطبعة الخامسة ـ ١٤١٤ هـ.

٤٠ ـ طبقات الفقهاء.
تأليف: اللجنة العلميّة في مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام / نشر: مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٤ هـ.

٤١ ـ العقد الثمين: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين.
تأليف: تقي الدين محمّد بن أحمد الحسني الفاسي المكّي المتوفّىٰ سنة ٨٣٢ هـ / تحقيق: محمّد عبد القادر أحمد عطا / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٩ هـ.

٤٢ ـ العين: كتاب العين.
تأليف: أبي عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفّىٰ سنة ١٧٥ هـ / تحقيق: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرّائي / نشر: دار ومكتبة الهلال ـ بيروت.

٤٣ ـ الغدير: الغدير في الكتاب والسنّة والأدب.
تأليف: عبد الحسين بن أحمد الأميني النجفي المتوفّى سنة ١٣٩٢ هـ / تحقيق: مركز الغدير للدراسات الإسلاميّة / نشر: مؤسّسة دار معارف الفقه الإسلامي ـ قم / الطبعة الثالثة ـ ١٤٢٥ هـ.

٤٤ ـ الفهرست لمنتجب الدين: الفهرست.
تأليف: منتجب الدين علي بن بابويه الرازي من أعلام القرن السادس الهجري / تحقيق: جلال الدين المحدّث الإرموي / إشراف: محمود المرعشي / نشر: مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / ١٣٦٦ هـ. ش.

٤٥ ـ **في مزرعة المجتمع**. مترجم بعنوان: «در كشتزار اجتماع».
تأليف: محمود شلتوت المتوفّى سنة ١٣٨٣ هـ / ترجمة: خليل خليليان / نشر: شركة سهامي ـ طهران / ١٣٤٤ هـ. ش.

٤٦ ـ **كنز العمّال: كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال**.
تأليف: علاء الدين علي المتّقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري المتوفّىٰ سنة ٩٧٥هـ / ضبط وتفسير الغريب من الكتاب: بكري حيّاني / تصحيح وفهرسة: صفوة السقا / نشر: مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / ١٤٠٩ هـ.

٤٧ ـ **مجلّة أخبار التقريب**.
نشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة ـ طهران.

٤٨ ـ **مجلّة رسالة الإسلام**.
نشر: مجمع البحوث الإسلاميّة للآستانة الرضوية المقدّسة ـ مشهد، والمجمع العالمي للتقريب من المذاهب الإسلاميّة ـ طهران / ١٤١١ هـ.

٤٩ ـ **مجلّة كيهان أنديشه (مجلّة عالم الفكر)**.
نشر: إيران.

٥٠ ـ **مجلّة مكتب إسلام (مجلّة مدرسة الإسلام)**.
نشر: إيران.

٥١ ـ **مجمع البيان: مجمع البيان في تفسير القرآن** (مع مقدّمة الشيخ شلتوت).
تأليف: أبي علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي المعروف بأمين الإسلام المتوفّى سنة ٥٤٨ هـ / نشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة ـ طهران / ١٤١٧ هـ.

٥٢ ـ **مجمع الزوائد: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**.
تأليف: نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي المتوفّىٰ سنة ٨٠٧ هـ / نشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٢ هـ.

٥٣ ـ مجموعة المقالات.

إعداد: صالحي نجف آبادي / نشر: دانش إسلامي / ١٣٦٤هـ. ش.

٥٤ ـ مرآة الجنان: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان.

تأليف: أبي محمّد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكّي المتوفّىٰ سنة ٧٦٨هـ / تحقيق: خليل المنصور / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٧هـ.

٥٥ ـ مسند أحمد: المسند.

تأليف: أبي عبد الله أحمد بن محمّد بن حنبل بن هلال الشيباني المتوفّىٰ سنة ٢٤١هـ / نشر: دار صادر ـ بيروت.

٥٦ ـ مع علماء النجف الأشرف.

تأليف: محمّد الغروي / نشر: دار الثقلين ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٢٠هـ.

٥٧ ـ معارف الرجال: معارف الرجال في تراجم العلماء والأُدباء.

تأليف: محمّد بن علي بن عبد الله حرز الدين النجفي المتوفّىٰ سنة ١٣٦٥هـ / نشر: مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / ١٤٠٥هـ.

٥٨ ـ معجم رجال الفكر والأدب: معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام.

تأليف: د. محمّد هادي عبد الحسين الأميني النجفي / الطبعة الثانية ـ ١٤١٣هـ.

٥٩ ـ معجم المفسّرين لنويهض: معجم المفسّرين من صدر الإسلام حتّىٰ العصر الحاضر.

تأليف: عادل نويهض / نشر: مؤسّسة نويهض الثقافية ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٩هـ.

٦٠ ـ المنجد في الأعلام.

تأليف: جماعة من المتخصّصين / نشر: دار المشرق ـ بيروت / الطبعة الحادية

والعشرون ـ ١٩٩٦ م.

٦١ ـ **موسوعة السياسة .**

تأليف: عبد الوهاب الكيّالي بمشاركة مجموعة من الاختصاصيّين / نشر: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر ـ بيروت ـ الطبعة الرابعة ـ ١٩٩٩ م .

٦٢ ـ **الموطّأ .**

تأليف: أبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني المتوفّىٰ سنة ١٧٩ هـ / رواية: جمع من العلماء / تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي / نشر: المكتبة القيصلية ـ مكّة المكرّمة.

٦٣ ـ **موقف الإمام الخميني تجاه إسرائيل .**

نشر: إيران .

٦٤ ـ **الناس والدين**، مترجم بعنوان: «مردم ودين» .

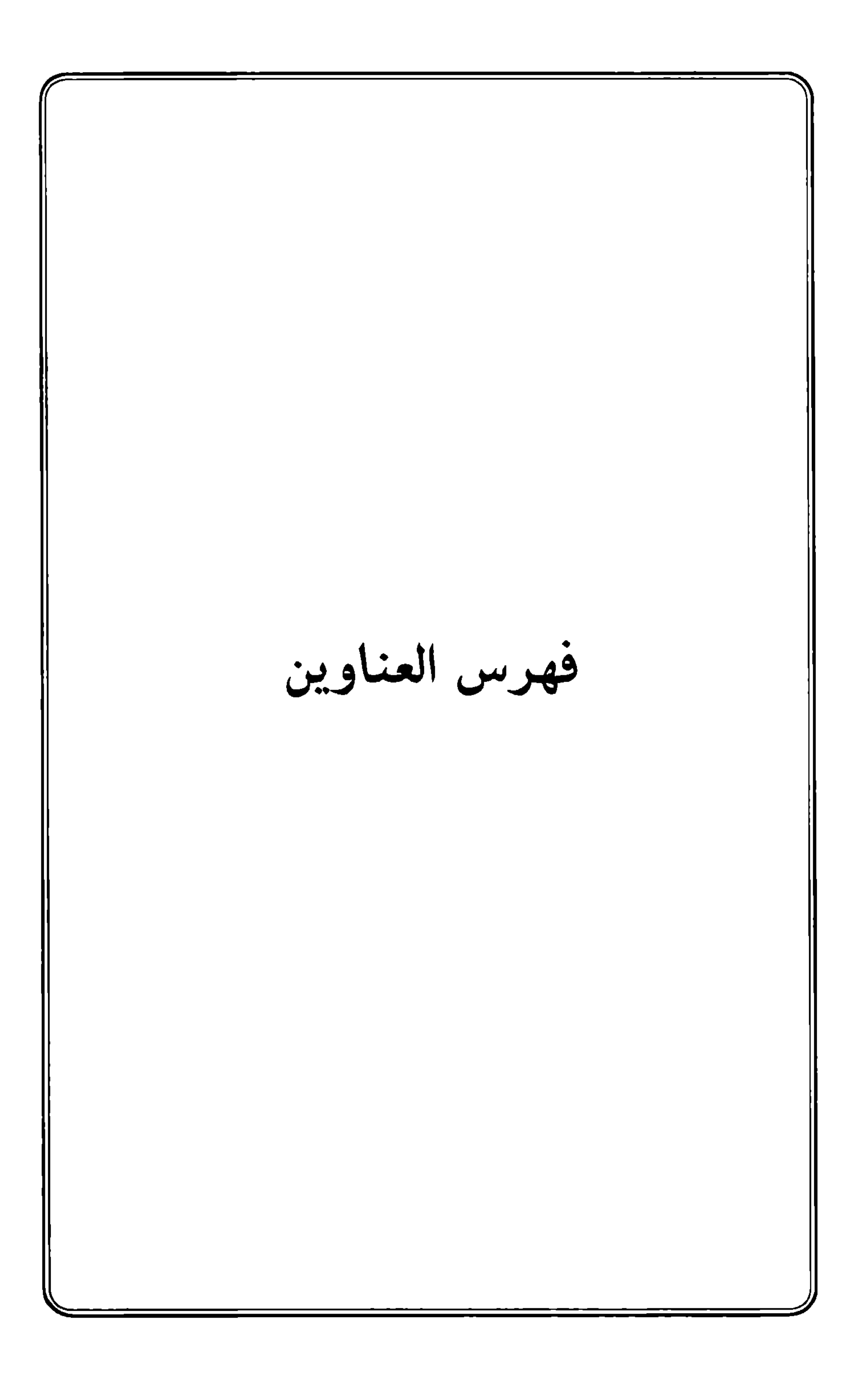
تأليف: محمود شلتوت المتوفّى سنة ١٣٨٣ هـ / ترجمة: خليل خليليان / نشر: إلهام ـ طهران.

٦٥ ـ **نقد الرجال .**

تأليف: مصطفى بن حسين الحسيني التفرشي من أعلام القرن الحادي عشر الهجري / تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت : لإحياء التراث ـ قم / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٨ هـ.

٦٦ ـ **نهج البلاغة .**

جمع: الشريف الرضي المتوفّى سنة ٤٠٦ هـ / اعتناء: د. صبحي الصالح / نشر: مؤسّسة الهجرة ـ قم / الطبعة الخامسة ـ ١٤١٢ هـ.



فهرس العناوين

فهرس العناوين

الفصل الأوّل
ولادته وتحصيلاته الدراسية

الفصل الثاني

مواقفه

الفصل الثالث

شلتوت والوحدة الإسلامية

الفصل الرابع

أفكاره